



دولة ماليزيا
وزارة التعليم العالي (MOHE)
جامعة المدينة العالمية
كلية العلوم الإسلامية
قسم القرآن الكريم وعلومه

العدل في الحكم
القواعد والصفات والآثار
دراسة قرآنية موضوعية
مشروع بحث تكميلي لنيل
درجة الماجستير في القرآن الكريم وعلومه
إعداد الباحث:
جمال جميل مهيبوب عبد الله
الرقم المرجعي : am305
هيكل : ج
بإشراف فضيلة الدكتور:
خالد نبوي سليمان حجاج

نائب الوكيل المساعد للشئون الأكاديمية للتعليم عن بعد

نائب رئيس قسم القرآن الكريم وعلومه بجامعة المدينة العالمية

للعام : 1434هـ / 2013م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

شكر وتقدير

الحمد لله على نعمه الكثيرة وآلائه العديدة التي لا تحصى ولا تعد، فبالشكر تزيد النعم، قال تعالى: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾ [إبراهيم: 7] ؛ لهذا أشكر الله الذي يسر لي هذا البحث، وأعاني على الانتهاء منه، فله الحمد والشكر أولاً وأخيراً.

كما أتوجه بالشكر العظيم والامتنان الكبير للسادة الدكاترة الفضلاء الدكتور الكريم المشرف على خطة البحث هاني محمد البشبيشي، والمشرف على مشروع البحث الدكتور: خالد نبوي سليمان حجاج الذين بذلوا من وقتهم وجهدهما في سبيل إرشادي وتوجيهي ... أمد الله في عمرهما.. وبارك فيهما، ومتعهما بالصحة والعافية، ونفع بهما الإسلام والمسلمين...

كما أقدم جزيل شكري ، وفائق تحياتي، للذين قاما بتربيتي صغيراً... والاهتمام بي كبيراً.. والدتي الغالية نبع الحنان الدائم والعطاء المتدفق الذي لا ينضب...ورمز التضحية.. والتي ما يمر يوماً إلا وهي تسأل عن أخباري وأخبار دراستي ، لاهجة بالدعاء لي بالتوفيق والسداد ، فجزاها الله عني خير الجزاء، وأمد في عمرها، ومتعها بموفور الصحة والعافية..

ووالدي العزيز الذي غرس في نفسي حب العلم والمعرفة مع التشجيع المستمر في السير بهما حتى النهاية..

كما أقدم فائق شكري، وعظيم امتناني لزوجتي الغالية ؛ التي صبرت وهيأت الأجواء المناسبة ، وعاشت لحظات التوتر والقلق ؛ لكثرة انشغالاتي ، وضيق وقت البحث ، وانطفاءات الكهرباء المستمر ، وانقطاعات الإنترنت .

إلى هؤلاء جميعا أهدي حصاد جهدي وفاء لهم... و عرفانا...

وسبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين....

المقدمة:

الحمد لله الذي جعل للكون والحياة نظاما قائما على الحق والعدل ، بعيدا عن الظلم والفساد ، والصلاة والسلام على الداعي للخير والفضيلة ، والذي حذر من الشر والرذيلة ، وعلى آله وصحبه والتابعين وبعد :

إن الشريعة الإسلامية جاءت لإحقاق الحق وإقامة العدل وإرساء قواعده ، وجعلته أساسا للحكم وغاية له ؛ لأنه يمثل داعمة وطيدة وميزة حقيقية للشريعة الإسلامية قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدِينَ وَالْأَقْرَبِينَ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىٰ أَن تَعْدِلُوا وَإِن تَلُوتُوا أَوْ تُعْرَضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴾ . [النساء : 135]

وقد جعل القرآن الكريم إقامة القسط أي: العدل بين الناس هو هدف الرسالات السماوية كلها فقال تعالى: ﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾ . [الحديد : 25]

فهو ميزان الله على الأرض به يؤخذ للضعيف حقه، وينصف المظلوم ممن ظلمه ، ويمكن صاحب الحق من الوصول إلى حقه في أقرب الطرق وأيسرها.

فالعدل في الحكم أمر لازم للناس لزوم الماء للحياة ، به يكتمل صلاح البلاد والعباد، ووجوده شهادة حقة على سلامة المجتمع أو فساده ، وهو الضمانة لتألف القلوب ، وتقارب الأمم ، وتعايش الأجناس ، وتواصل الشعوب وهو من أعظم الفرائض التي افترضها الله على البشر، وجعله سبباً لاستقرار حياة الناس ، وسبباً لشيوع السعادة والأمن ، كما جعل انعدامه سبباً لزوال الأمم والمجتمعات ، وضياع للإنسانية فهو حامي الأمن ، وهو الطريق الموصل إلى الجنة ، فعن عبد الله بن عمرو بن العاص - رضي الله عنهما - قال : قال رسول الله - صلى الله

عليه وسلم - : " إن المقسطين عند الله على منابر من نور عن يمين الرحمن وكلتا يديه يمين الذين يعدلون في حكمهم وأهليهم وما ولوا " (1) .

ولما كان موضوع العدل في الحكم من أهم الموضوعات القرآنية من حيث استمداده ، وموضوعه ومن حيث صلته بالمجتمع وحاجته إليه ومدى تحقيقه للأهداف المرجوة من وراءه ، أثر الباحث أن يكتب في هذا الموضوع ويتصدى له من حيث بيان أهميته في الإسلام ، وبيان معالمة ، وصفاته ، وأسس ، وموانعه ، ومقتضيات التحلي به ، وذكر ثماره ، وآثاره العاجلة ، والآجلة .

أسأل الله العلي القدير التوفيق والسداد لتحقيق هذه الغاية ليعم به النفع والفائدة إنه على ما يشاء قدير

والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل .

مشكلة البحث :

تتمثل مشكلة البحث في الإجابة على الأسئلة الآتية:

1- ما أهمية الحكم في الإسلام ؟ وكيف اهتم القرآن الكريم في إقرار مبدأ العدل في الحكم ؟
2- ما الصفات التي أبرزها القرآن الكريم لمن يريد أن يحكم بين الناس بالحق ويقودهم إلى الخير والفلاح ؟

3- ما قواعد الحكم العادل ؟ وما هي موانعه كما بينها القرآن الكريم ؟

4- ما آثار العدل في الحكم في الدنيا والآخرة كما بينها القرآن الكريم ؟

يسعى هذا البحث الموجز لتحقيق جملة من الأهداف والغايات ، منها :

أولاً: تأصيل البحث بالقرآن الكريم - هذا الكتاب الموجز المعجز الذي لا تنقضي عجائبه - وذلك لحاجتنا الماسة إلى البحوث المؤصلة بمصادر التشريع .

ثانياً: بيان أهمية الحكم في الإسلام، ومنزله ، واهتمام القرآن في إقرار مبدأ الحكم العادل .

¹ - النيسابوري ، أبو الحسين مسلم بن الحجاج ، المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى الرسول صلى الله عليه وسلم ، تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي ، (دار إحياء التراث العربي) ، (1858/3) رقم (1827).

رابعاً: إبراز معالم وصفات الحاكم العادل من خلال دراسة بعض الآيات القرآنية التي تدل على تطبيق العدل الرباني على الأرض .

خامساً: بيان أسس الحكم بالعدل وموانعه ، وذكر ثماره ، وآثاره العاجلة ، والآجلة.

سادساً: المساهمة في نشر مبدأ العدل ، وإرساء دعائمه فهو أساس الحكم بين الناس ، وقوام العلاقات في شئون الحياة ، وأساس العمران في هذا الوجود.

الدراسات السابقة :

تناول مبدأ العدل والقسط في القرآن الكريم الكثير من العلماء والباحثين في رسائلهم العلمية لنيل درجة الماجستير ، أو الدكتوراه ومن أهمها :

1- العدل في القرآن الكريم .د.أحمد محمد عيسى محمد .جامعة الأزهر الشريف.

تناولت هذه الرسالة أقوال علماء اللغة والتفسير لمعنى العدل مع التعقيب على ما ترجح من ذلك ،وتناولت العدل الإلهي من عدة جوانب كالعدل في وحدانية الله تعالى وتكليف عباده بما يطاق ، والعدل فيما يتعلق بنظام الأسرة ، والربا ومنافته للعدل، وكتابة الدين والإشهاد أقسط عند الله ، وعقوبة الجريمة الإسلامية كلها تدعو إلى العدل ،واستعرضت نماذج من أفضية الرسول صلى الله عليه وسلم ،وحرص الخلفاء على العدل .

2- آيات العدل في القرآن الكريم.بحث مقدم من قبل الدكتور زياد علي دايع المدرس في كلية الآداب بالجامعة الإسلامية.

تناول هذا البحث دلائل العدل في المفهوم القرآني وتحدث فيه عن العدل بمعنى الفدية، والعدل بمعنى الحق ، والعدل في الأخذ والعطاء ، والعدل في الحكم ، والمماثلة والشراكة في الخلق.

كما تناول وجوب الدعوة للقسط ، والعدل في الشهادة ،فتحدث عن العدالة في الشهود لضمان عدم التنازع، والعدل في الزوجات ، وعدم ظلم اليتامى، والأمر بالقسط ، وإقامة الشهادة لله.

3- العدل في القرآن الكريم .للباحث أ/ صادق قاسم حسن مصلح. جامعة الإيمان- اليمن.

تناول الباحث في هذا البحث تعريف العدل ، والكلام على عدل الله ورسله ،وبين أقسام العدل ،وثمار العدل في الدنيا والآخرة .

4- القسط في القرآن الكريم .د.عثمان محمد الحسن عبد اللطيف 0جامعة أم ردمان الإسلامية.

5- آيات العدل كما وردت في القرآن الكريم .د.رفعة أحمد صالح الغامدي .الرئاسة العامة .

7- العدل في القرآن الكريم والسنة النبوية .د. بدرية جار الله مخلف العازمي.جامعة الكويت. كلية الشريعة والدراسات الإسلامية .

وعند تتبع الباحث لتلك الدراسات العلمية من خلال محتوياتها (1) وجدها قد تناولت مفهوم العدل والقسط بمعناه العام وتطرت إلى جميع أنواعه وأقسامه ولم يكن موضوع (العدل في الحكم) إلا مبحث أو مطلب ينظم في فصل من فصول تلك الدراسات ؛ ولكن هذا البحث سيحاول بمشيئة الله عز وجل لم شعث موضوع (العدل في الحكم القواعد ، والصفات ، والآثار، دراسة قرآنية موضوعية) في رسالة علمية تعطي فكرة متكاملة عن موضوعه.

منهج البحث :

سأتبع في هذا البحث - بإذن الله تعالى - المنهج الاستقرائي الوصفي ولتحقيق ذلك سأقوم بما يأتي :

1- حسب الدراسات التي تمكن الباحث من الوصول إلى محتوياتها والإطلاع عليها .

- 1- جمع الآيات القرآنية التي تدور حول موضوع الحكم (القضاء والفصل) بالعدل لفظا ومعنى ثم تصنيفها وتقسيمها إلى عناصر، ثم وضع كل آية في مواضعها من العناصر وإن تكررت مستعينا بمعجم الأعلام والموضوعات لعبد الصبور مرزوق.
- 2- تفسير الآيات من كتب التفسير المعتمدة على تنوعها خاصة التفسير بالمأثور وضم المعاني المتصلة بالموضوع والعنصر اتصالا وثيقا مع الاستعانة بالدراسات المعاصرة والحديثة ذات الصلة بموضوع البحث .
- 2- بيان موضع الآيات القرآنية في المصحف بذكر اسم السورة ورقم الآية في متن البحث .
- 3- توثيق المعلومات الواردة في البحث بعزوها إلى مصادرها تحقيقا للأمانة العلمية.
- 4- إيضاح معاني المصطلحات والألفاظ الغريبة إن وجدت.
- 5- ترجمة الأعلام الوارد ذكرهم في متن البحث باختصار.
- 6- وضع فهرس للمراجع والمصادر ، وفهرس للموضوعات في نهاية البحث .

تقسيمات البحث :

- ينقسم البحث إلى مقدمة وتمهيد وخمسة فصول وخاتمة :
- المقدمة وتتناول أهمية البحث ، وهدفه ، وخطة البحث، ومنهج البحث.
- التمهيد ويشتمل على التعريف بالعدل والحكم في اللغة والاصطلاح والألفاظ ذات الصلة .

الفصل الأول : الحكم في الإسلام وأهميته

وفيه ثلاثة مباحث :

- المبحث الأول : أهمية العدل في الحكم ومنزلته.
- المبحث الثاني : القرآن الكريم وإقرار مبدأ الحكم بالعدل.
- المطلب الأول : العدل في الإصلاح بين المتخاصمين .
- المطلب الثاني : العدل في التعامل مع غير المسلمين .
- المطلب الثالث : العدل في القول .
- المبحث الثاني : أهمية العدل في الحكم ومنزلته .
- المبحث الثالث : أساس الحساب في الآخرة قضاء الله تعالى بالعدل.

الفصل الثاني : قواعد الحكم بالعدل وموانعه وصفات الحاكم العادل

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول : قواعد الحكم .

المطلب الأول : العدل والمساواة أساس الحكم وغايته .

المطلب الثاني : الشورى وأثرها في تطبيق الحكم العادل .

المبحث الثاني : موانع العدل .

المبحث الثالث : صفات الحاكم العادل .

المطلب الأول : صفات الحاكم العادل من خلال قصة داوود عليه السلام .

المطلب الثاني : أبرز صفات سليمان عليه السلام كحاكم دولة .

المطلب الثالث : صفات الحاكم العادل من خلال قصة ذي القرنين .

المطلب الرابع : صفات الحاكم العادل من خلال قصة طالوت عليه السلام مع بني إسرائيل⁰

الفصل الثالث : العدل في الحكم نتائجه وآثاره العاجلة والآجلة

وفيه مبحثان :

المبحث الأول : ثمار العدل وآثاره في الدنيا.

المبحث الثاني : ثمار العدل وآثاره في الآخرة.

الخاتمة:

وتشتمل على أبرز النتائج والتوصيات. ثم فهرس المراجع والمصادر وفهرس الموضوعات .

والله تعالى أجل وأعلم

والصلاة والسلام على سيدنا ونبينا محمد وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم

الدين والحمد لله رب العالمين .

التمهيد :

هذا تمهيد يعطي نبذة موجزة عن المصطلحات المتعلقة بعنوان البحث :

أولاً: العدل في اللغة والاصطلاح :

أ/ العدل في اللغة :

العَدْلُ ما قام في النفوس أنه مُسْتَقِيم ، وهو ضِدُّ الجَوْرِ عَدَلَ الحَاكِمُ في الحِكمِ يَعْدِلُ عَدْلًا وهو عَادِلٌ من قومِ عُدُولٍ ، وَعَدَلِ اسمٌ للجمع كَتَجَرَّ وَشَرَبَ ، وَعَدَلَ عليه في القَضِيَّةِ فهو عَادِلٌ وَبَسَطَ الوالي عَدْلَهُ وَمَعَدَلْتَهُ وفي أسماء الله سبحانه العَدْلُ فهو الذي لا يَمِيلُ به الهوى فَيَجُورُ في الحِكمِ ، وهو في الأصل مصدرٌ سُمِّيَ به فَوُضِعَ مَوْضِعَ العَادِلِ ، وهو أبلغ منه لأنه جُعِلَ المِسْمَى نفسه عَدْلًا وفلان من أهل المَعْدِلَةِ أي من أهل العَدْلِ ، والعَدْلُ الحُكْمُ بالحق يقال هو يَقْضِي بالحق وَيَعْدِلُ ، وهو حَكَمَ عَادِلٌ ذو مَعْدَلَةٍ في حكمه ، والعَدْلُ من الناس المرْضِيُّ قولُهُ وَحُكْمُهُ (1) .

ب/ العدل في الاصطلاح :

العدل هو: أن تعطي من نفسك الواجب وتأخذ (2) .

وقيل هو التزام الصدق في القول ، والفعل وإعطاء الحق لصاحبه ، وعدم التعدي على الغير بغير حق في ماله ونفسه وعرضه (1) .

1- ابن منظور المصري ، محمد بن مكرم ، لسان العرب ، ط1 ، (دار صادر - بيروت) ، (430/11) .

2- ابن حزم الأندلسي ، علي بن أحمد ، الأخلاق والسير ، تحقيق : عادل أبو المعاطي ، ط1 ، (القاهرة : دار المشرق العربي ، 1408هـ- 1988م) ، (ص81) .

وذكره الإمام ابن الجوزي (2) أن المراد بالعدل هو الإنصاف والحق. وضده: الجور (3).

ثانياً : معنى القسط في اللغة والفرق بينه وبين العدل :

أ/ القسط في اللغة : بفتح القاف مأخوذ من قسط يقسط فهو قاسط أي جائر، فالقسط هو الجور والعدول عن الحق ومنه قوله تعالى ﴿وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا﴾ [الجن : 15].

والقسط بالكسر العدل نقول منه أقسط الرجل فهو مقسط إذا عدل ومنه قوله تعالى : ﴿وَأَنَّ حَكَمْتَ فَآخُكُمْ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ [المائدة: 42] ، والمقسط من أسماء الله تعالى.

كما أن القسط يرد بمعنى الحصّة والنصيب، فيقال تقسطنا الشيء بيننا ، والتقسّطاس بضم القاف وكسرهما المراد به الميزان (1) : وهو الآلة المعروضة لوزن الأشياء.

1- العربي ، د. عبد الله بن إبراهيم ، تقرير الإسلام للعدل بين الأفراد والدول ، مجلة العدل ، العدد الأول ، (محرم 1420هـ) ، (ص102) .

2- أبو الفرج ابن الجوزي : هو الشيخ الحافظ المفسر، جمال الدين، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد ، القرشي البكري ، البغدادي، الحنبلي، صاحب التصانيف . ولد سنة تسع أو عشر وخمس مئة للهجرة ، وله مصنفات عديدة من أهمها في التفسير (المغني) ، ثم اختصره في أربع مجلدات، وسماه: زاد المسير، وله تذكرة الارب في اللغة، والوجوه والنظائر، وجامع المسانيد وغيرها من المصنفات ، قال سبطه أبو المظفر: سمعت جدي على المنبر يقول: بأصبعي هاتين كتبت ألفي مجلدة، وتاب على يدي مئة ألف، وأسلم على يدي عشرون ألفاً. انظر : سير أعلام النبلاء : الذهبي ، شمس الدين محمد بن أحمد تحقيق : شعيب أرنؤوط ، ط2 ، (1402هـ ، 1982م) ، (21/ 369-370).

3- أبو الفرج الجوزي ، عبد الرحمن بن علي بن محمد ، نزهة الأعين النواضر في علم الوجوه والنظائر، تحقيق : محمد عبد الكريم كاظم ، ط1 ، (مؤسسة الرسالة - لبنان / بيروت ، 1404هـ- 1984م) ، 2(ص439).

ب/ الفرق بين العدل والقسط

عرف القسط بأنه : هو العدل البين الظاهر، ومنه سمي المكيال قسطاً، والميزان قسطاً؛ لأنه يصور لك العدل في الوزن حتى تراه ظاهراً، وقد يكون من العدل ما يخفى، ولهذا يقال : إن القسط هو النصيب الذي بينت وجوهه، وتقسط القوم الشيء تقاسموا بالقسط (2).

مما سبق يتبين لنا أن العدل والقسط بمعنى واحد، أي لا فرق بينهما إلا أن العدل ورد بمعاني متعددة بخلاف القسط، واليك بيان معاني العدل كما وردت في القرآن الكريم.

ذكر بعض المفسرين أن كلمة العدل وردت في القرآن الكريم على خمسة أوجه أو معاني (3).

الأول : الفداء ومنه قوله تعالى : ﴿ وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴾ [البقرة : 48] .

الثاني : الإنصاف ومنه قوله تعالى : ﴿ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَلِكَ أَدْنَىٰ أَلَّا تَعُولُوا ﴾ [النساء : 3] .

الثالث : القيمة ومنه قوله تعالى : ﴿ أَوْ عَدْلٌ ذَلِكَ صِيَامًا ﴾ [المائدة : 95] ، أراد أو قيمة ذلك صياماً .

1- الرازي ، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر ، مختار الصحاح ، تحقيق : محمود خاطر ، طبعة جديدة ، (مكتبة لبنان - بيروت ، 1415هـ - 1995م) ، (1/ 61-62) ، وانظر: لسان العرب لابن منظور ، (377/7-378)

2- أبو هلال العسكري ، الحسن بن عبد الله بن سهل ، الفروق اللغوية ، تحقيق : محمد إبراهيم سليم ، (القاهرة : دار العلم والثقافة والنشر) ، (1/ 234) .

3- نزهة الأعين النواضر في علم الوجوه والنظائر للجوزي ، (ص440-441) .

الرابع : الشرك ومنه قوله تعالى : ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴾ [الأنعام : 1] .

الخامس : التوحيد ومنه قوله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ [النحل : 501] .

ثالثا : الحكم في اللغة والقرآن :

أ/ الحكم لغة: القضاء، والجمع أحكام. وقد حكم عليه بالأمر حكماً وحكومة. والحاكم. منقذ الحكم وكذلك الحكم والجمع حُكَّام. وحاكمه إلى الحاكم: دعاه وخاصمه. وحكمه في الأمر: أمره أن يحكم، فاحتكم. وتحكم (1) .

وقيل الحكم أصله: منع منعا لإصلاح، ومنه سميت اللجام: حكمة الدابة، فقيل: حكمته وحكمت الدابة: منعها بالحكمة، وأحكمتها: جعلت لها حكمة، وكذلك: حكمت السفينة وأحكمتها.

والحكم بالشيء: أن تقضي بأنه كذا، أو ليس بكذا، سواء ألزمت ذلك غيره أو لم تلزمه، قال تعالى: ﴿ وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ ﴾ [النساء: 58] ، ﴿ يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ ﴾ [المائدة: 95] (2).

1- الفيروز آبادي ، مجد الدين محمد بن يعقوب ، بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، تحقيق : محمد علي النجار ، (القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة الإسلامية - لجنة إحياء التراث الإسلامي، 1416هـ - 1996م) ، ضمن عنوان (بصيرة في الحكم والحكمة) ، (2 / 487) .

2- الراغب الأصفهاني ، الحسين بن محمد بن المفضل ، المفردات في غريب القرآن ، تحقيق : عدنان صفوان الداودي ، ط 1 ، (دمشق ، بيروت : دار القلم ، الدار الشامية) ، ضمن العنوان (حكم) ، (1 / 248) .

ب/ مورد لفظ الحكم في القرآن الكريم

والحكم ورد في القرآن على تيف وعشرين وجهاً:

الأول: حكم الله تعالى ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ﴾ .

الثاني: حكم نوح في شفاعة التبيين ﴿وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ﴾ . حكم لوط عند استغاثته

من جور المجرمين ﴿وَلَوْطاً أَتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا﴾ وحكم يوسف الصديق عند الخلوة بسيده

الحسان ﴿أَتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا﴾ وحكمه أيضاً بتعبير الرؤيا لأهل الاسجان ﴿إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا

لِلَّهِ أَمَرَ إِلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ﴾ وحكم إخوة يوسف عند توقف بعضهم عن الرواح إلى

كنعان ﴿حَتَّى يَأْتِيَ لِي أَبِي أَوْ يَحْكُمَ اللَّهُ﴾ وحكم داود لما ترفع إليه الخصمان ﴿فَأَحْكُمْ

بَيْنَنَا بِالْحَقِّ﴾ وحكم خلفاء الله بين نوع الإنسان ﴿فَأَحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ﴾ والحكم بين

الزراع والراعي من داود وسليمان ﴿إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ﴾ وحكم اليهود بالتوراة

وشرائعها ﴿وَعِنْدَهُمُ التَّوْرَةُ فِيهَا حُكْمُ اللَّهِ﴾ وحكم النصارى بالإنجيل وأحكامها ﴿وَلِيَحْكُمْ

أَهْلَ الْإِنجِيلِ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِ﴾ وحكم سيد الأنبياء بما تضمنه القرآن ﴿وَأَنْ أَحْكُمَ بَيْنَهُمْ بِمَا

أَنْزَلَ اللَّهُ﴾ والحكم الجاهلي الذي طلبه الجهال من أهل الكفر والطغيان ﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ

يَبْعُونَ﴾ والحكم الحق المنصوص في القرآن ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنْ اللَّهِ حُكْمًا﴾ والحكم الجزم

البت في شأن أهل النفاق والخذلان ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ

بَيْنَهُمْ﴾ والحكم المقبول من المؤمنين بواسطة الإيمان، المقابل بالتدلل والتواضع

والإذعان ﴿وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ﴾ والحكم في القيامة بين جميع الإنس

والجان ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ والحكم بين الرجال والنسوان ﴿فَأُبْعَثُوا حُكْمًا

مِنْ أَهْلِهِ وَحُكْمًا مِنْ أَهْلِهَا﴾ وحكم بجزء الصيد على المحرم عند العدوان ﴿فَجَزَاءٌ مِثْلُ مَا

قَتَلَ مِنْ النَّعَمِ يَحْكُمُ بِهِ﴾ وحكم من الله بالحق إذا اختلف المختلفان ﴿وَمَا اختلفتم فيه من

شيء فحكمه إلى الله﴾ وحكم الكفار في دعوى مساواتهم مع أهل الإيمان ﴿سَاءَ مَا

يَحْكُمُونَ ﴿﴾ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿﴾ وحكم بتقديم الأرواح وتأخيرها من الرحمن ﴿﴾ وَاللَّهُ
يَحْكُمُ لَا مُعْتَبَ لِحُكْمِهِ ﴿﴾ وحكم بتخليد الكفار في النيران ﴿﴾ إِنَّ اللَّهَ فَدَّ حَكَمَ بَيْنَ الْعِبَادِ ﴿﴾
وحكم بتخليد ثواب أهل الإيمان في الجنان.

وَأَمَّا الْحِكْمَةُ فَمِنَ اللَّهِ - تَعَالَى - مَعْرِفَةُ (الْأَشْيَاءِ وَإِيجَادُهَا) عَلَى غَايَةِ الْإِحْكَامِ وَالِإِتْقَانِ،
وَمِنَ الْإِنْسَانِ مَعْرِفَةُ الْمَوْجُودَاتِ وَفَعْلُ الْخَيْرَاتِ (1).

وقيل أن مادة الحكم تأتي في القرآن على عدة معان منها : الفصل والقضاء والحكمة والفقه
والموعظة والفهم والعلم والنبوة وحسن التأويل (2).

الفصل الأول

الحكم في الإسلام وأهميته

وفيه ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : أهمية العدل في الحكم ومنزلته .

1- الفيروز آبادي ، مجد الدين ، بصائر ذوي التمييز ، ضمن عنوان (بصيرة في الحكم والحكمة) (2 / 488-489)

2- د. عبد العزيز مصطفى كامل ، الحكم والتحاكم في خطاب الوحي ، ط1 ، (دار طيبة ، 1415 هـ - 1995 م) .

المبحث الثاني : القرآن الكريم وإقرار مبدأ الحكم بالعدل .

المبحث الثالث : أساس الحساب في الآخرة قضاء الله تعالى بالعدل .

المبحث الأول : أهمية العدل في الحكم ومنزلته

إن العدل في الحكم هو الدعامة الرئيسية في إقامة مجتمع إسلامي ينعم بالأمن والآمان ،
والطمأنينة والاستقرار وعامل مساعد على التقدم والنماء والازدهار والعطاء ، فلا وجود

للإسلام في مجتمع يسوده الظلم والاستبداد ، ولا يقيم العدل ، ولهذا اهتم القرآن الكريم بتقرير هذا المبدأ وتأسيسه (1).

قال تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ [النحل: 90].

ولقد أرسل الله تعالى رسله وأنزل معهم ميزان العدل؛ ليقوم الناس بالقسط، وما ذلك إلا لأهميته، قال تعالى: ﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيُقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾ [الحديد: 25].

يقول صاحب الظلال - " فالرسالة واحدة في جوهرها، جاء بها الرسل ومعهم البيئات عليها، ومعظمهم جاء بالمعجزات الخوارق. وبعضهم أنزل عليه كتاب. والنص يقول ﴿ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ ﴾ بوصفهم وحدة. وبوصف الكتاب وحدة كذلك، إشارة إلى وحدة الرسالة في جوهرها.

(وَالْمِيزَانَ).. مع الكتاب. فكل الرسائل جاءت لتقر في الأرض وفي حياة الناس ميزاناً ثابتاً ترجع إليه البشرية، لتقويم الأعمال والأحداث والأشياء والرجال؛ وتقيم عليه حياتها في مأمّن من اضطراب الأهواء واختلاف الأمزجة، وتصادم المصالح والمنافع. ميزاناً لا يجابي أحداً لأنه يزن بالحق الإلهي للجميع، ولا يحيف على أحد لأن الله رب الجميع.

هذا الميزان الذي أنزله الله في الرسالة هو الضمان الوحيد للبشرية من العواصف والزلازل والاضطرابات والخلخلة التي تحيق بها في معترك الأهواء ومضطرب العواطف، ومصطخب المنافسة وحب الذات. فلا بد من ميزان ثابت يثوب إليه البشر، فيجدون عنده الحق والعدل

1- سيقوم الباحث بتبيين ذلك بالتفصيل في المبحث الثاني (القرآن الكريم وإقرار مبدأ العدل بالحكم)

والنصفه بلا محاباة. وقوله ﴿لِيُقَوْمَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾.. فبغير هذا الميزان الإلهي الثابت في منهج الله وشريعته، لا يهتدي الناس إلى العدل، وإن اهتدوا إليه لم يثبت في أيديهم ميزانه، وهي تضطرب في مهب الجهالات والأهواء" (1).

ويقول ابن القيم (2) مبيناً أهمية هذا المبدأ: "إن الله سبحانه أرسل رسله وأنزل كتبه؛ ليقوم الناس بالقسط، وهو العدل الذي قامت به الأرض والسموات، فإذا ظهرت أمارات العدل، وأسفر وجهه بأي طريق كان؛ فتم شرع الله ودينه، والله سبحانه أعلم وأحكم وأعدل أن يخص طرق العدل وأماراته وأعلامه بشيء، ثم ينفي ما هو أظهر منها وأقوى دلالة وأبين أمانة فلا يجعله منها، ولا يحكم عند وجودها وقيامها بموجبها، بل قد بين سبحانه بما شرعه من الطرق أن مقصوده إقامة العدل بين عباده، وقيام الناس بالقسط، فأبي طريق استخرج بما العدل والقسط فهي من الدين وليست مخالفة له" (3).

ويقول جل شأنه: ﴿فَلِدَلِكْ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَقُلْ آمَنْتُ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ كِتَابٍ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمْ اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾ [الشورى: 15].

1- السيد قطب، ابراهيم بن حسين الشاربي، في ظلال القرآن، ط17، (القاهرة: دار الشروق، 1412هـ)، (6/3494).
2- ابن القيم هو: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد بن حريز بن مكّي زيد الدين الزرعي، ولد عام: (691هـ - 1292م)، وتوفي عام: (751هـ - 1349م) من علماء الدين الإسلامي في القرن الثامن الهجري وصاحب المؤلفات العديدة، عاش في دمشق ودرس على يد ابن تيمية الدمشقي ولازمه قرابة 16 عاما وتأثر به، وسجن في قلعة دمشق في أيام سجن ابن تيمية وخرج بعد أن توفي شيخه عام (728هـ). انظر: نهاية الأرب في فنون الأدب. لأحمد بن عبد الوهاب النويري، تحقيق: فهم شلتوت، ط1، (القاهرة: دار الكتب المصرية 1998م)، (33/265-277).

3- ابن القيم الجوزية، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب الزرعي، الطرق الحكمية في السياسة الشرعية، تحقيق: د. محمد جميل غازي (القاهرة: مطبعة المدني)، (ص 19).

يقول تعالى ذكره: **وقل لهم يا محمد: وأمرني ربي أن أعدل بينكم معشر الأحزاب، فأسير فيكم جميعاً بالحقّ الذي أمرني به وبعثني بالدعاء إليه. كالذي: حدثنا بشر، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿وَأْمُرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ﴾** قال: **أمر نبيّ الله صلى الله عليه وسلم أن يعدل، فعدل حتى مات صلوات الله وسلامه عليه. والعدل ميزان الله في الأرض، به يأخذ للمظلوم من الظالم، وللضعيف من الشديد، وبالعدل يصدّق الله الصادق، ويكذب الكاذب، وبالعدل يرّد المعتدي ويوبخه** (1).

المبحث الثاني: القرآن الكريم وإقرار مبدأ العدل في الحكم

لقد وردت في القرآن الكريم آيات متعددة تؤكد على أن إقامة الدولة المسلمة العادلة لا يكون إلا على أساس من الإنصاف والعدل في الأقوال والأفعال والمعاملات والقضاء وإقامة

1- الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن كثير، جامع البيان في تأويل القرآن، تحقيق: أحمد محمد شاكر، ط1، (مؤسسة الرسالة، 1420هـ - 2000م)، (21/ 516 - 517).

الحدود وغير ذلك فقد قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ [النحل: 90].

ففي هذه الآية الكريمة يخبر الله تعالى أنه يأمر عباده بالعدل والقسط والموازنة ، ويندب إلى الإحسان فدل ذلك على شرعية العدل ، ووجوب التزامه في القول وفي المعاملة وفي الحكم بين الناس (1) .

وقال جل شأنه: ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴾ [النساء: 58]

وفي هذه الآية خطاب من الله تعالى إلى ولاية أمور المسلمين بأداء الأمانة إلى من ولوا في فيئهم وحقوقهم وما ائتمنوا عليه من أمورهم بالعدل في القضية ، والقسم بينهم بالسوية، يدل على ذلك ما وعظ به الرعية في : ﴿ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ ﴾ [النساء: 59]. فأمرهم بطاعتهم، وأوصى الراعي بالرعية، وأوصى الرعية بالطاعة (2).

وقد جعل القرآن الكريم إقامة القسط أي : العدل بين الناس هو هدف الرسالات السماوية كلها فقال تعالى : ﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ

1- ابن كثير الدمشقي ، أبو الفداء اسماعيل بن عمر، تفسير القرآن العظيم ، تحقيق: سامي بن محمد سلامة ، ط2، (دار طيبة للنشر والتوزيع ، 1420هـ - 1999م) ، (4 / 595).

2- جامع البيان في تأويل القرآن للطبري (492/8).

بِالْقِسْطِ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٢٥﴾ [الحديد: 25].

والسّموات والأرض إنّما قامتا بالعدل ﴿وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ﴾ [الرحمن: 7].

وإقامة العدل هي إحدى وظائف الرسول صلى الله عليه وسلم : ﴿وَقُلْ آمَنْتُ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ كِتَابٍ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ﴾ [الشورى: 15].

ويقول تبارك وتعالى : ﴿يَدَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ﴾ [ص: 26].

فهذه الآية وصية من الله عز وجل لولاة الأمور أن يحكموا بين الناس بالحق المنزل من عنده تبارك وتعالى ، ولا يعدلوا عنه فيضلوا عن سبيل الله ، وقد توعّد تبارك وتعالى من ضل عن سبيله ، وتناسى يوم الحساب ، بالوعيد الأكيد ، والعذاب الشديد (1).

فالعدل في الحكم من القيم الأساسية التي جاء القرآن الكريم ليقررها بين بني الإنسان حفاظاً على كرامته وحرصاً على وصول حقه إليه من أقرب الطرق وأيسرها (1) ، وشواهد كثيرة سبق وأن ذكرنا بعضها.

والجدير بالذكر هنا أن نظرة القرآن للعدل في الحكم تتميز بالشمول فقد شملت كل ما يقتضي التعلق بتحقيق هذا المبدأ كالعدل في القول، والفعل، والقضاء، وإقامة الحدود، والمعاملات الإنسانية، سواء أكانت بين المسلمين بعضهم مع بعض أو بين المسلمين وغيرهم من سائر الملل والنحل وستناول بمشيئة الله تعالى طرفا من ذلك في مطالب هذا البحث.

المطلب الأول : العدل في الإصلاح بين المتخاصمين

إن القرآن الكريم يقرر للإنسان مبدأ العدل في الحكم في الأمور كلها سواء كان قاضياً، أو صاحب منصب، أو كان مصلحاً بين الناس، وذلك بإعطاء كل ذي حقٍ حقه، قال تعالى: ﴿وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ﴾ [النساء: 58].

1- د. عبد الكريم عثمان، الثقافة الإسلامية ط16، (مؤسسة الرسالة، 1413هـ)، مع التصرف (ص77).

ويؤكد سبحانه وتعالى في سورة الحجرات على ضرورة تحقيق العدل عند الإصلاح بين المتنازعين فيقول تعالى : ﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ [الحجرات : 9]

وتفسير ذلك : وإن طائفتان من أهل الإيمان اقتتلوا، فأصلحوا أيها المؤمنون بينهما بالدعاء إلى حكم كتاب الله، والرضا بما فيه لهما وعليهما، وذلك هو الإصلاح بينهما بالعدل ﴿فإن بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى﴾ يقول: فإن أبت إحدى هاتين الطائفتين الإجابة إلى حكم كتاب الله له، وعليه وتعدت ما جعل الله عدلاً بين خلقه، وأجابت الأخرى منهما ﴿فقاتلوا الَّتِي تَبْغِي﴾ يقول: فقاتلوا التي تعتدي، وتأبى الإجابة إلى حكم الله ﴿حتى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ﴾ يقول: حتى ترجع إلى حكم الله الذي حكم في كتابه بين خلقه ﴿فإن فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ﴾ يقول: فإن رجعت الباغية بعد قتالكم إياهم إلى الرضا بحكم الله في كتابه، فأصلحوا بينها وبين الطائفة الأخرى التي قاتلتها بالعدل: يعني بالإنصاف بينهما، وذلك حكم الله في كتابه الذي جعله عدلاً بين خلقه (1).

يقول صاحب الظلال عند تفسيره لسورة الحجرات أنها تكاد تستقل بوضع معالم كاملة، لعالم رفيع كريم نظيف سليم؛ متضمنة القواعد والأصول والمبادئ والمناهج التي يقوم عليها هذا العالم ؛ والتي تكفل قيامه أولاً، وصيانته أخيراً. وعند تفسيره لقوله تعالى : ﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾. علق عليها قائلاً : وهو عالم له

نظمه وإجراءاته العملية في مواجهة ما يقع فيه من خلاف وفتن وقلاقل واندفاعات، تخلخل كيانه لو تركت بغير علاج. وهو يواجهها بإجراءات عملية منبثقة من قاعدة الأخوة بين المؤمنين، ومن حقيقة العدل والإصلاح، ومن تقوى الله والرجاء في رحمته ورضاه (1).

وروى السيوطي (2) في تفسيره عن ابن عباس قوله: "إن الله أمر النبي صلى الله عليه وسلم في هذه الآية والمؤمنين إذا اقتتل طائفتان من المؤمنين أن يدعوهما إلى حكم الله وينصف بعضهم من بعض فإن أجابوا حكم فيهم كتاب الله حتى ينصف المظلوم من الظالم فمن أبي منهم أن يجي فهو باغ وحق على المؤمنين أن يقاتلوهم حتى يفيئوا إلى أمر الله ويقرؤا حكم الله" (3).

الثاني : العدل في التعامل مع غير المسلمين

إن المتأمل في القرآن الكريم ليجد أن من خصائصه الكمال والشمولية ، فهو ما جاء لينظم علاقة المسلم بربه فحسب بل نظم أيضا علاقة المسلم بالمسلم وعلاقة المسلم بغير المسلم.

1- في ظلال القرآن للسيد قطب (6/ 488 - 489)

2- السيوطي : الحافظ جلال الدين أبو الفضل عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد بن سابق الحضيري الشافعي المسند المحقق المدقق ، صاحب المؤلفات الفائقة النافعة ، ولد في رجب سنة تسع وأربعين وثمانمائة ، حفظ القرآن ولازم العلماء ، اشتهر بسعة علمه وبعد أن تقدم به العمر اعتزل الناس وتجرد للعبادة والتصنيف ، توفي سنة إحدى عشر وتسعمائة . انظر : شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، لابن العماد الحنبلي ، عبد الحي أحمد بن محمد ، تحقيق : محمود الأرنؤوط ، ط1 ، (دمشق - بيروت : دار ابن كثير ، 1406هـ - 1986م) ، (10/ 74 - 75) .

3- السيوطي ، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد ، الدرر المنثور في التفسير بالمأثور ، (بيروت : دار الفكر) ، (7/ 561) .

قال تعالى: ﴿لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ [الممتحنة: 8].

أي: لا ينهاكم الله عن البر والصلة ، والمكافأة بالمعروف ، والقسط للمشركين ، من أقاربكم وغيرهم ، حيث كانوا بحال لم ينتصبا لقتالكم في الدين والإخراج من دياركم، فليس عليكم جناح أن تصلوهم، فإن صلّتهم في هذه الحالة، لا محذور فيها ولا مفسدة (1).

قال الإمام ابن الجوزي في تفسيره زاد المسير في علم التفسير اختلفوا فيمن نزلت هذه الآية على خمسة أقوال :

القول الأول: أنها في أسماء بنت أبي بكر، وذلك أن أمها قتيلة بنت عبد العزى، قدّمت عليها المدينة بهدايا، فلم تقبل هداياها، ولم تدخلها منزلها، فسألت لها عائشة رسول الله صلى الله عليه وسلم، فنزلت هذه الآية، فأمرها رسول الله صلى الله عليه وسلم أن تدخلها منزلها، وتقبل هديتها، وتكرمها، وتحسن إليها.

القول الثاني: أنها نزلت في خزاعة وبني مدلج، وكانوا صالحوا رسول الله صلى الله عليه وسلم على أن لا يقاتلوه، ولا يعينوا عليه أحداً ، وروي عن الحسن البصري أنها نزلت في خزاعة، وبني الحارث بن عبد مناف، وكان بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد، فداموا على الوفاء به.

القول الثالث: نزلت في قوم من بني هاشم منهم العباس.

القول الرابع: أنها عامة في جميع الكفار، وهي منسوخة بقوله تعالى: ((فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ

1- السعدي ، عبد الرحمن بن ناصر ، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحي ، ط1،)

حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ)) [التوبة : 5].

القول الخامس: نزلت في النساء والصبيان (1).

قال المفسرون: وهذه الآية رخصة في التعامل بالعدل للذين لم ينصبوا الحرب للمسلمين وجواز برّهم، وإن كانت الموالاة منقطعة منهم (2).

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال: عُنِيَ بذلك: لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين، من جميع أصناف الملل والأديان أن تبرؤوهم وتصلوهم، وتقسطوا إليهم، إن الله عزّ وجلّ عمّ بقوله: ﴿الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ﴾ جميع من كان ذلك صفته، فلم يخصّص به بعضاً دون بعض، ولا معنى لقول من قال: ذلك منسوخ، لأن برّ المؤمن من أهل الحرب ممن بينه وبينه قرابة نسب، أو ممن لا قرابة بينه وبينه ولا نسب غير محرّم ولا منهي عنه إذا لم يكن في ذلك دلالة له، أو لأهل الحرب على عورة لأهل الإسلام، أو تقوية لهم بكراع أو سلاح (3).

المطلب الثالث : العدل في القول

إن نظرة القرآن الكريم للعدل في الحكم تتميز بالشمول فقد شملت كل ما يقتضي التعلق بتحقيق هذا المبدأ كالعدل في المعاملات ، وفي الفعل ، وفي القول ، وغيرها.

1- الجوزي ، عبد الرحمن بن علي ، تفسير زاد المسير في علم التفسير ، ط3 ، (بيروت : المكتب الإسلامي ، 1404هـ) ، (8/ 236-237).

2- الجوزي ، المرجع السابق ، (8/ 237).

3- جامع البيان في تأويل القرآن للطبري ، (23/ 323).

يقول الله تعالى في محكم كتابه : ﴿ وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ [الأنعام : 152].

يعني تعالى ذكره بقوله: ﴿ وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا ﴾: وإذا حكمتم بين الناس فتكلمتم، فقولوا الحقّ بينهم، واعدلوا وأنصفوا ولا تجوروا ولو كان الذي يتوجه الحقّ عليه والحكم ذا قرابة لكم، ولا يحملنكم قرابة قريب أو صداقة صديق حكمتم بينه وبين غيره، أن تقولوا غير الحقّ فيما احتكم إليكم فيه. ﴿ وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ﴾ يقول: وبوصية الله التي أوصاكم بها فأوفوا وإيفاء ذلك أن يطيعوه فيما أمرهم به ونهاهم ، وأن يعملوا بكتابه وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، وذلك هو الوفاء بعهد الله.

وأما قوله: ﴿ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ ﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: قل للعادلين بالله الأوثان والأصنام من قومك: هذه الأمور التي ذكرت لكم في هاتين الآيتين ، هي الأشياء التي عهد إلينا ربنا ووصاكم بها ربكم وأمركم بالعمل بها، لا بالبحائر والسوائب والوسائل والحام وقتل الأولاد وواد البنات واتباع خطوات الشيطان(1).

و يقول الإمام الرازي (2) في تفسيره مفاتيح الغيب : "واعلم أن هذا أيضاً من الأمور الخفية التي أوجب الله تعالى فيها أداء الأمانة، والمفسرون حملوه على أداء الشهادة فقط، والأمر

1- جامع البيان في تأويل القرآن للطبري (12 / 522 - 226)

2- فخر الدين الرازي : هو الإمام العالم فخر الدين محمد بن عمر التميمي الرازي الشافعي ، ولد سنة أربع وأربعين وخمس مئة ، ومات بكرة يوم عيد الفطر سنة ست وست مئة، وله بضع وستون سنة، وقد اعترف في آخر عمره حيث يقول: لقد تأملت الطرق الكلامية والمناهج الفلسفية فما رأيتها تشفي عليلاً ولا تروي غليلاً، ورأيت أقرب الطرق طريقة القرآن، أقرأ في الاثبات: ((الرحمن على العرش استوى)) ، ((إليه يصعد الكلم))، وأقرأ في النفي ((ليس كمثلته شيء)) ومن جرب مثل تجربتي عرف مثل معرفتي .
انظر : سير أعلام النبلاء ، الذهبي ، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان ، تحقيق : مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرنؤوط ، ط3، (الرسالة ، 1405 هـ) ، (21 / 500 - 501) .

والنهي فقط، قال القاضي وليس الأمر كذلك بل يدخل فيه كل ما يتصل بالقول، فيدخل فيه ما يقول المرء في الدعوة إلى الدين وتقرير الدلائل عليه بأن يذكر الدليل ملخصاً عن الحشو والزيادة بألفاظ مفهومة معتادة، قريبة من الأفهام، ويدخل فيه أن يكون الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واقعاً على وجه العدل من غير زيادة في الإيذاء والإيحاء، ونقصان عن القدر الواجب، ويدخل فيه الحكايات التي يذكرها الرجل حتى لا يزيد فيها ولا ينقص عنها، ومن جملتها تبليغ الرسالات عن الناس، فإنه يجب أن يؤديها من غير زيادة ولا نقصان، ويدخل فيه حكم الحاكم بالقول، ثم إنه تعالى بين أنه يجب أن يسوي فيه بين القريب والبعيد، لأنه لما كان المقصود منه طلب رضوان الله تعالى لم يختلف ذلك بالقرب والبعيد " (1).

ويقول صاحب روح المعاني : ﴿ وَإِذَا قُلْتُمْ ﴾ قولاً في حكومة أو شهادة أو نحوهما ﴿ فَأَعْدِلُوا ﴾ فيه وقولوا الحق ﴿ وَلَوْ كَانَ ﴾ المقول له أو عليه ﴿ ذَا قُرْبَى ﴾ أي صاحب قرابة منكم " (2).

1- فخر الدين الرازي ، محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين ، مفاتيح الغيب ، ط1 ، (بيروت : دار الكتب العلمية ، 1421هـ- 2000م) ، (13 / 193)

2- الألوسي ، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني ، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ، ط1 ، (بيروت : دار الكتب العلمية ، 1415 هـ) ، (299/4) .

المبحث الثالث : العدل أساس الحساب في الآخرة

إن الله سبحانه وتعالى هو الحكم العدل فقد جعل القسط من أمره قال تعالى: ﴿ قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ﴾ [الأعراف: 25] ، ومن أمر المصلحين من الناس مع تبشيره بالعذاب الأليم للذين يعترضون طريقهم قال تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ [آل عمران: 21] ، وهو سبحانه القوام بالقسط قال تعالى: ﴿ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُوا الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ [آل عمران: 18].

وهو الذي يقيم القسط ليوم القيامة ويقضي به بين الناس قال تعالى: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ
الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ حَرْدَلٍ آتَيْنَا بِهَا وَكَفَىٰ بِنَا
حَاسِبِينَ﴾ [الأنبياء : 47].

ومعنى ذلك : أن الله تعالى يخبر عن حكمه بالعدل ، وقضائه القسط بين عباده إذا جمعهم
في يوم القيامة ، وأنه يضع لهم الموازين العادلة، التي يبين فيها مثاقيل الدر، الذي توزن بها
الحسنات والسيئات، ﴿فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ﴾ مسلمة أو كافرة (شَيْئًا) بأن تنقص من
حسناتها، أو يزداد في سيئاتها .

﴿وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ حَرْدَلٍ﴾ التي هي أصغر الأشياء وأحقرها، من خير أو شر ﴿
آتَيْنَا بِهَا﴾ وأحضرناها، ليجازى بها صاحبها، كقوله: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾ *
وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ [الزلزلة : 7] (1).

ويقول تعالى جل ذكره ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولٌ فَإِذَا جَاءَ رَسُولُهُمْ قُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ وَهُمْ لَا
يُظْلَمُونَ﴾ [يونس : 47].

وتفسير ذلك : ولكل أمة خلت قبلكم ، أيها الناس ، رسول أرسلته إليهم، كما أرسلت
محمدًا إليكم ، يدعون من أرسلتهم إليهم إلى دين الله وطاعته ﴿فَإِذَا جَاءَ رَسُولُهُمْ﴾ ، يعني:
في الآخرة ، ﴿قُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ﴾ ، قضي حينئذ بينهم بالعدل ﴿وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ ،
من جزاء أعمالهم شيئًا ، ولكن يجازي المحسن بإحسانه . والمسيء من أهل الإيمان ، إما أن

1- تيسير الكرمي الرحمن في تفسير كلام المنان لعبد الرحمن بن ناصر السعدي ، (1 / 524).

يعاقبه الله ، وأما أن يعفو عنه، والكافر يخلد في النار. فذلك قضاء الله بينهم بالعدل، وذلك لا شك عدل لا ظلم (1).

ويقول تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ ظَلَمَتْ مَا فِي الْأَرْضِ لَافْتَدَتْ بِهِ وَأَسْرُوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [يونس:54]

قوله ﴿وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ أي قضى الله بين المؤمنين وبين الكافرين أو بين الرؤساء والأتباع أو بين الظالمين من الكفار والمظلومين وقيل : معنى القضاء بينهم : إنزال العقوبة عليهم والقسط : العدل وجملة ﴿وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ في محل نصب على الحال : أي لا يظلمهم الله فيما فعل بهم من العذاب الذي حل بهم فإنه بسبب ما كسبوا (2).

ويقول تعالى : ﴿إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا وَعَدَّ اللَّهُ حَقًّا إِنَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ بِالْقِسْطِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ﴾ [يونس: 4]

قال القرطبي (3) - رحمه الله - : "والقسط هنا المراد به العدل" (4) .

1- جامع البيان في تأويل آي القرآن للطبري (99/15) .

2- الشوكاني ، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله اليميني ، فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير ، ط1، (دمشق ، بيروت - دار ابن كثير ، دار الكلم الطيب ، 1414هـ) ، (2 / 515) .

3- هو الإمام أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر الخزرجي الأنصاري شمس الدين القرطبي ، تفقه على مذهب الإمام مالك ، واعتنى بتفسير القرآن الكريم ، توفي - رحمه الله - سنة (671هـ) . انظر : الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب (بيروت : دار الكتب العلمية) ، (ص317، 318) .

4- شمس الدين القرطبي ، محمد بن أحمد بن أبي بكر ، الجامع لأحكام القرآن ، تحقيق : هشام سميح البخاري ، (المملكة العربية السعودية : دار عالم الكتب بالرياض ، 1423هـ - 2003م) ، (8 / 309)

فيكون المعنى أن أساس الحساب والجزاء في الآخرة هو قضاء الله تعالى بالقسط أي بالعدل ، فالذين آمنوا يجزون الجنة بما كسبوا ، والذين كفروا لهم شراب من حميم وعذاب أليم بما كانوا يكفرون .

الفصل الثاني

قواعد الحكم بالعدل وموانعه وصفات الحاكم العادل

وفيه ثلاثة مباحث :

- المبحث الأول : قواعد الحكم بالعدل .
- المبحث الثاني : موانع العدل في الحكم .
- المبحث الثالث : صفات الحاكم العادل .

المبحث الأول :قواعد الحكم بالعدل

المطلب الأول : العدل والمساواة هما أساس الحكم وغايته :

أ/ العدل :

العدل بصفة عامة: هو تنفيذ حكم الله ، أي أن يحكم طبقاً لما جاءت به الشرائع السماوية الحقّة، كما أوحى بها الله إلى أنبيائه ورسله ، وهو واجب على كل حاكم حتى على الأنبياء بإجماع العلماء، وهو أساس نظام الحكم الإسلامي وغايته المقصودة، سواء بين المسلمين ، أم

بينهم وبين الأعداء؛ لأن العدل قوام العالمين في الدنيا والآخرة ، وبه قامت السموات والأرضون، وهو أساس الملك وأما الظلم ، فهو طريق خراب المدنيات وزوال السلطان (1) . وقد ورد في القرآن عدة آيات تحث عليه، وأكدت عليه أحاديث النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وطبقه الصحابة فعلاً بين الناس.

ومن تلك الآيات قوله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ ﴾ [النحل: 90] وأمر الله بفعل كما هو معلوم يقتضي وجوبه.

وقوله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ ﴾ [النساء: 58].

وقوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدِينَ وَالْأَقْرَبِينَ إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىٰ أَنْ تَعْدِلُوا وَإِنْ تَلَوْا أَوْ تُعْرِضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴾ [النساء: 135].

وقوله تعالى : ﴿ فَلِذَلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَقُلْ آمَنْتُ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ كِتَابٍ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمْ ﴾ [الشورى: 15]

وقوله تعالى : ﴿ وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ﴾ [الأنعام : 152]. وجاء نص خاص يوجب العدل مع الأعداء وهو قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ [المائدة: 8] ، وغيرها من الآيات التي استعرضناها وبينها سلفاً.

1- أ.د. وهبة الزحيلي ، الفقه الإسلامي وأدلته الشامل للأدلة الشرعية والآراء المذهبية وأهم النظريات الفقهية وتحقيق الأحاديث النبوية وتخریجها، ط4، (دمشق دار الفكر) ، (8 / 327) .

ثم إن ترك العدل يعد ظلماً ، والله سبحانه وتعالى حرم الظلم ودم أهله وتوعدهم بالعذاب الشديد يوم القيامة والهلاك في الدنيا (1).

قال تعالى: ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ ﴾ [إبراهيم: 42].

وقال تعالى: ﴿ فَبَلَّغْ بَيُّوتَهُمْ حَاوِيَةً بِمَا ظَلَمُوا ﴾ [النمل: 52].

وقال تعالى: ﴿ احْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ ﴾ [الصفات: 22].

ب/ المساواة

العدل بمعناه الشامل يشمل هذا المبدأ الشائع الآن؛ لأن العدل يتطلب التسوية في المعاملة وفي القضاء وفي الحقوق وملكيات الأموال. عبر أبو بكر رضي الله عنه عن ذلك بقوله: «الضعيف فيكم قوي عندي حتى آخذ الحق له، والقوي فيكم ضعيف عندي حتى آخذ الحق منه إن شاء الله» وفي رسالة عمر المشهورة لأبي موسى الأشعري: " آس بين الناس في وجهك وعدلك ومجلسك، حتى لا يطمع شريف في حيفك، ولا يبأس ضعيف من عدلك. "(2)

فالمساواة يعد أحد المبادئ العامة التي أقرها الإسلام، وهي من المبادئ التي تساهم في بناء المجتمع المسلم، ويعتبر هذا المبدأ من أهم المبادئ التي جذبت الكثير من الشعوب قديماً نحو الإسلام، ومما ورد في القرآن الكريم تأكيداً لمبدأ المساواة قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا

1- أبو فارس ، محمد عبد القادر ، النظام السياسي في الإسلام ، ط2، (الأردن: دار الفرقان ، 1407هـ) ص49.

2- أ.د. وهبة الزحيلي ، الفقه الإسلامي وأدلته ، (8 / 329) .

خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتَقَاكُمْ ﴿١٣﴾
[الحجرات : 13].

فالناس جميعا في نظر الإسلام سواسية ، الحاكم والمحكوم ، الرجال والنساء ، العرب والعجم ، الأبيض والأسود، لقد ألقى الإسلام الفوارق بين الناس بسبب الجنس واللون أو النسب أو الطبقة ، والحكام والمحكومون كلهم في نظر الشرع سواء. وجاءت ممارسات المسلمين التطبيقية خير شاهد على ذلك، فهذا أبو بكر في أول خطبة له بعد أن تولى الخلافة يقول: "وليت عليكم ولست بخيركم، فإن أحسنت فأعينوني وإن أسأت فقوموني، القوي فيكم ضعيف عندي حتى آخذ الحق منه، والضعيف فيكم قوي عنده حتى آخذ له حقه" (1).

المبحث الثاني : الشورى وأثرها في تحقيق الحكم العادل

أولاً : الشورى في اللغة والاصطلاح

أ / الشورى في اللغة:

الشُورى: المشورة، والمشاورة: استخراج الرأي، يقال: شاورته في الأمر، استشرته، وطلبت منه المشورة (2).

1- أبو فارس ، محمد عبد القادر ، النظام السياسي في الإسلام ، ص44 .

2- ابن منظور ، لسان العرب ، (4/ 437).

ب/ الشورى في الاصطلاح :

هي استخراج الرأي، بمراجعة البعض إلى البعض (1).

ثانياً: الشورى وأثرها في تحقيق الحكم العادل :

إن تداول الرأي في الحوادث مارسته الشعوب منذ أقدم العصور، مارسه العرب والفرس، والمصريون، والهنود، والرومان، والصينيون، ومارسه الملوك والفراعنة، ولم يوجد شعب ولا أمة إلا مارسته في القديم والحديث (2).

وإن القرآن الكريم ليقدم لنا نموذجاً ودرساً في القديم بالأخذ بنظام الشورى إذ يقص علينا قصة ملكة سبأ عندما وصلها كتاب من سليمان عليه السلام يدعوها فيه إلى الإذعان بالوحدانية والربوبية وإلى الطاعة والإسلام دعت الملأ وهم أشراف الناس من قومها ووجههم المقربون (3) إليها فقالت: ﴿إِنِّي أُلْقِي إِلَيْكَ كِتَابٌ كَرِيمٌ إِنَّهُ مِن سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ

=

1- الأصفهاني ، مفردات أفعال القرآن الكريم ، مادة شَوْر ، (1/ 560).

2- . الصلابي ، علي محمد بن محمد ، تبصرة المؤمنين بفقہ النصر والتمكين في القرآن الكريم ، ط1، الشارقة : مكتبة الصحابة ، 1422هـ) ، ص 538.

3- عز الدين التميمي ، الشورى بين الأصالة والمعاصرة ، ط1، (الأردن : دار البشير ، 1405هـ)، ص 17 .

الرَّحِيمِ أَلَّا تَعْلُوا عَلَيَّ وَأُتُونِي مُسْلِمِينَ قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي مَا كُنْتُ قَاطِعَةً أَمْرًا
حَتَّى تَشْهَدُونِ قَالُوا نَحْنُ أَوْلَا قُوَّةً وَأَوْلُوا بِأسِ شَدِيدِ وَالْأَمْرِ إِلَيْكَ فَانظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ ﴿٣٣﴾
[النمل: 29 - 33].

فالشورى تعد ركيزة أساسية وعنصر من العناصر التي تقوم عليها الدولة الإسلامية ، فهي
أساس الحكم العادل في الإسلام ، ومن أبرز سماته وخصائصه.

يقول الله عز وجل في خطاب موجه لولي الأمر ﴿ فِيمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لَئِن لَّمْ يَكُنِ اللَّهُ فِطْرًا
غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ
فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴾ [آل عمران : 159] .

يقول صاحب الظلال - رحمه الله - : " وبهذا النص الجازم ﴿ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ ﴾ يقر
الإسلام المبدأ في نظام الحكم - حتى ومحمد صلى الله عليه وسلم هو الذي يتولاه - وهو
نص قاطع لا يدع للأمة المسلمة شكاً في أن الشورى مبدأ أساسي ، لا يقوم نظام الإسلام
على أساس سواه " (1).

ولأهمية الشورى في حياة الأمة، سمى الله تعالى سورة في القرآن الكريم باسم الشورى، ومدح
أهل الشورى أثناء حديثه عن فرائض كلية في الإسلام .

فقال جل شأنه في خطاب موجه للأمة الإسلامية في سورة الشورى : ﴿ وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا
لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴾ [الشورى : 38] .

فالشورى في الأمة مبدأ أصيل، وصفة لازمة، بدونها تفقد الأمة صلاحها كما لو تركت الصلاة أو الصيام (1)، حيث تركز عليها كل دولة راقية تنشُد لرعاياها الأمن والاستقرار، والفلاح والنجاح؛ ذلك لأنها الطريق السليم التي يتوصل بها إلى إجراء الآراء والحلول، لتحقيق مصالح الأفراد، والجماعات، والدول (2).

وقد تفرد الإسلام بهذا المبدأ الأصيل، وأقره سلوكاً عاماً في المجتمع، وأسلوباً في إدارة الشؤون العامة لما له من مقاصد عظيمة، ومصالح كبيرة، وفوائد جليلة تعود على الأمة والدولة والمجتمع بالخير والبركة ومن ذلك:

- 1- يتعرض الحكام والقادة والرؤساء في كثير من الأحيان والظروف إلى اندفاعات عاطفية، تكون ذات نتائج سلبية وآثار سيئة على حياة الأمة، وفي هذه الحالة تكون الشورى من أنجح الضوابط لكبح جماح العواطف لدى الحكام والقادة والرؤساء، ففي المشاورة عصمة لهم من الإقدام على أمور تضر بالأمة وقد لا يشعرون بضررها.
- 2- الشورى نوع من الحوار المفتوح، ومن أحسن الأساليب لتوعية الرأي العام وتنويره، وتعزيز عوامل الحب والثقة بين الحاكم والمحكومين، والقائد والمقودين، والرئيس والمرءوسين، وهو خير أسلوب في الحكم لعزل الشكوك، ونفي الهواجس وإزالة الأوهام، ووقف الشائعات التي تنمو عادة في ظل الاستبداد وتنتشر في عتمة الغوغائية.

1- حسين بن محسن علي جابر، الطريق إلى جماعة المسلمين، (دار الوفاء للطباعة والنشر)، ص 64.

2- أبو فارس، محمد عبد القادر، النظام السياسي في الإسلام، ص 80.

- 3- تقضي مبادئ الإسلام بأن يشعر كل فرد أن له دوراً في حياة المجتمع والجماعة، والشورى تتيح الفرصة أمام كل فرد لكي يقدم ما يستطيع من جهود وأفكار وآراء ومهارات لخير المجتمع، كما تتيح الفرصة أمام كل فرد ليعبر عن رأيه في الشؤون العامة.
- 4- إن الشورى تمنح الدفء العاطفي، والتماسك الفكري لأفراد الأمة، وفيها إشعار الفرد بقيمته الذاتية، وقيمه الفكرية، وقيمه الإنسانية، وتدفع أفراد المجتمع نحو الاجتهاد والإبداع والرضا وتتفجر الطاقات وتتكشف المواهب المغمورة في الأمة.
- 5- إن الشورى تساهم في علاج ضروب الكبت الضاغطة، وكوامن الأحقاد الدفينة، وتطيح بكثير من الكظوم الخفية، وتدفع رعايا الدولة للعطاء والحرص على ترسيخ النظام، وصدق الولاء.
- 6- وفي نظام الشورى تذكير للأمة بأنها هي صاحبة السلطان وتذكير لرئيس الدولة بأنه وكيل عنها في مباشرة الحكم والسلطان.
- 7- وفي المشاورة امتثال لأمر الله بها، واقتداء برسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - ، وهذه المزية أرجح المزايا المتقدمة، وهذا أهم العوامل في نجاح نظام الشورى (1) .

المبحث الثاني : موانع العدل

إن إقامة العدل في الأرض لا يمكن أن يتم إلا حين تتجرد النفوس لله، وتتخلى عن رغباتها المشروعة، ويكون هدفها الأسمى هو ابتغاء مرضاة الله ، ونعيمها النفسي هو العمل لإرضاء الله، ولذا قال سبحانه: ﴿كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ﴾ ، لله فقط، وتعاملاً مباشراً مع الله، لا لحساب أحد، ولا لمصلحة فرد أو جماعة أو أمة، ولا تعاملاً مع الملبسات المحيطة بأي عنصر من عناصر القضية، ولكن تعاملاً مع الله وتجرداً من كل ميل، ومن كل هوى، ومن كل مصلحة، ومن كل اعتبار (1) .

1- محمد بن عبد الله الهبدان ، ملتقى الخطباء ، عنوان الخطبة : إقامة العدل في الأرض سمة من سمات الله ، رقم الخطبة في الموقع

قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدِينَ وَالْأَقْرَبِينَ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىٰ أَن تَعْدِلُوا وَإِن تَلُونَا أَوْ تُعْرِضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴾ [النساء: 135].

فالقِيَامُ بالقِسْطِ من أعظم الأمور وأدل على دين القائم به، وورعه ومقامه في الإسلام، فيتعين على من نصح نفسه وأراد نجاحها أن يهتم له غاية الاهتمام، وأن يجعله نُصْبَ عينيه، ومحل إرادته، وأن يزيل عن نفسه كل مانع وعائق يعوقه عن إرادة القسط أو العمل به.

وأعظم عائق لذلك اتباع الهوى، ولهذا نبه تعالى على إزالة هذا المانع بقوله: ﴿ فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىٰ أَن تَعْدِلُوا ﴾ أي: فلا تتبعوا شهوات أنفسكم المعارضة للحق، فإنكم إن اتبعتموها عدلتم عن الصواب، ولم توفقوا للعدل، فإن الهوى إما أن يعمي بصيرة صاحبه حتى يرى الحق باطلا والباطل حقا، وإما أن يعرف الحق ويتركه لأجل هواه، فمن سلم من هوى نفسه وفق للحق وهدى إلى الصراط المستقيم (1).

ويقول صاحب الظلال -رحمه الله- في تفسيره لهذه الآية " وتبدأ هذه الآيات ببناء الجماعة المؤمنة إلى النهوض بتكاليف دورها، في إقامة العدل بين الناس على النحو الفريد الذي لم يقم إلا على يد هذه الجماعة - العدل الذي تتعامل فيه الجماعة مع الله مباشرة؛

=

.(2583)

1- عبد الرحمن السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص205.

متخلصة من كل عاطفة أو هوى أو مصلحة - بما في ذلك ما يسمى مصلحة الجماعة أو الأمة أو الدولة! - متجردة من كل اعتبار آخر غير تقوى الله ومرضاته .

تبدأ هذه الآيات ببناء الذين آمنوا ليقوموا هذا العدل . . بصورته هذه . . ومنزل هذا القرآن يعلم حقيقة المجاهدة الشاقة ، التي تتكلفها إقامة العدل على هذا النحو . وفي النفس البشرية ضعفها المعروف ، وعواطفها تجاه ذاتها وتجاه الأقارب؛ وتجاه الضعاف من المتقاضين وتجاه الأقوياء أيضاً . تجاه الوالدين والأقربين ، وتجاه الفقير والغني؛ تجاه المودة وتجاه الشنآن . . ويعلم أن التجرد من هذا كله يحتاج إلى جهاد شاق . جهاد للصعود إلى هذه القمة على سفوح ملساء! لا تتعلق فيها النفس بشيء إلا بجبل الله" (1) .

ويقول تعالى في محكم كتابه : ﴿ يَا دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ ﴾ . [ص: 26] .

يقول تعالى ذكره: وقلنا لداود: يا داود إنا استخلفناك في الأرض من بعد من كان قبلك من رسلنا حكما بين أهلها.

﴿ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ ﴾ يعني: بالعدل والإنصاف ﴿ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى ﴾ يقول: ولا تؤثر هواك في فضائك بينهم على الحق والعدل فيه، فتجور عن الحق ﴿ فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ﴾

1- السيد قطب ، في ظلال القرآن ، (2/ 774) .

﴿ يقول: فيميل بك اتباعك هواك في قضائك على العدل والعمل بالحق عن طريق الله الذي جعله لأهل الإيمان فيه، فتكون من الهالكين بضالك عن سبيل الله (1).

ويقول تعالى في محكم كتابه : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَا نُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ [المائدة : 8] .

يقول تعالى ذكره : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ ﴾ أي: كونوا قوامين بالحق لله، عز وجل، لا لأجل الناس والسمعة، وكونوا ﴿ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ ﴾ أي: بالعدل لا بالجور.

وقوله: ﴿ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَا نُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا ﴾ أي: لا يحملنكم بغير قوم على ترك العدل فيهم، بل استعملوا العدل في كل أحد، صديقا كان أو عدوا؛ ولهذا قال: ﴿ اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ﴾ أي: عدلكم أقرب إلى التقوى من تركه (2).

1- ابن جرير الطبري ، (189/21) .

2- ابن كثير الدمشقي ، تفسير القرآن العظيم ، (62/3) .

المبحث الثالث : صفات الحاكم العادل

المطلب الأول : صفات الحاكم العادل من خلال قصة داوود عليه السلام

يقول تعالى في محكم كتابه : ﴿اصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُودَ ذَا الْأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ *
إِنَّا سَخَّرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ * وَالطَّيْرَ مَحْشُورَةً كُلٌّ لَهُ أَوَّابٌ * وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ
وَأَتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَضَّلْنَا الْخِطَابَ ﴾ [ص: 17-20] .

وتفسير ذلك : ﴿اصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ﴾ كما صبر مَنْ قَبْلَكَ مِنَ الرُّسُلِ، فَإِنْ قَوْلُهُمْ لَا
يُضِرُّ الْحَقَّ شَيْئًا، وَلَا يَضُرُّونَكَ فِي شَيْءٍ، وَإِنَّمَا يَضُرُّونَ أَنْفُسَهُمْ.

﴿وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُودَ ذَا الْأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ * إِنَّا سَخَّرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ
* وَالطَّيْرَ مَحْشُورَةً كُلٌّ لَهُ أَوَّابٌ * وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وَأَتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَضَّلْنَا الْخِطَابَ ﴾ .

لما أمر الله رسوله بالصبر على قومه، أمره أن يستعين على الصبر بالعبادة لله وحده، ويتذكر حال العابدين، كما قال في الآية الأخرى: ﴿فَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا﴾

ومن أعظم العابدين، نبي الله داود عليه الصلاة والسلام ﴿ذَا الْأَيْدِ﴾ أي: القوة العظيمة على عبادة الله تعالى، في بدنه وقلبه. ﴿إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾ أي: رجّاع إلى الله في جميع الأمور بالإجابة إليه، بالحب والتأله، والخوف والرجاء، وكثرة التضرع والدعاء، رجّاع إليه عندما يقع منه بعض الخلل، بالإقلاع والتوبة النصوح.

ومن شدة إنبته لربه وعبادته، أن سخر الله الجبال معه، تسبح معه بحمد ربها ﴿بِالْعَشِيِّ وَالإِشْرَاقِ﴾ أول النهار وآخره.

(و) سخر ﴿الطَّيْرَ مَحْشُورَةً﴾ معه مجموعة ﴿كُلُّ﴾ من الجبال والطيور، لله تعالى ﴿أَوَّابٌ﴾ ﴿امتثالاً لقوله تعالى: ﴿يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ﴾ فهذه منته الله عليه بالعبادة. ثم ذكر منته عليه بالملك العظيم فقال: ﴿وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ﴾ أي: قويناه بما أعطيناه من الأسباب وكثرة العدد والعدد التي بها قوى الله ملكه، ثم ذكر منته عليه بالعلم فقال: ﴿وَأَتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ﴾ أي: النبوة والعلم العظيم، ﴿وَفَضَّلَ الْخُطَابِ﴾ أي: الخصومات بين الناس (1).

إن المتأمل في الآيات السابقة يتعرف على صفات الحاكم المؤمن التي تحقق له السعادة في الدنيا والآخرة .

ومن أهم تلك الصفات :

1- الصبر: فقد أمر الله تعالى نبينا محمداً - صلى الله عليه وسلم - على جلالته قدره بأن يقتدي بداود عليه السلام في الصبر على طاعة الله.

1- السعدي ، تيسير الكريم الرحمن في تفسير الكلام المنان ، (1 / 711).

- 2- العبودية: فقد وصفه ربه بقوله ﴿عَبْدَنَا﴾ وعبر عن نفسه بصيغة الجميع للتعظيم، والوصف بالعبودية لله غاية التشريف، كوصف محمد - صلى الله عليه وسلم - بها ليلة المعراج: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ﴾ [الإسراء:1].
- 3- القوة على أداء الطاعة والاحتراز عن المعاصي في قوله: ﴿ذَا الْأَيْدِي﴾.
- 4- والرجاع إلى الله بالطاعة في أموره كلها، في قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾، وصف بالقوة على طاعة الله، وبأنه أواب دليل على كمال معرفته بالله التي جعلته يجتهد في العبادة على نهج رباني صحيح.
- 6- قوة الملك: ﴿وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ﴾ [ص:20]، أي قوينا ملكه بالجند أو الحرس، وجعلنا له ملكاً كاملاً من جميع ما يحتاج إليه الملوك.
- 7- الحكمة: ﴿وَأَتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ﴾ [ص:20]، أعطيناه الفهم والعقل والفتنة، والعلم، والعدل، وإتقان العمل، والحكم بالصواب.
- 8- حسن الفصل في الخصومات: ﴿وَفَصَّلَ الْخِطَابِ﴾ [ص:20]، أي: وأهمناه حسن الفصل في القضاء بإحقاق الحق وإبطال الباطل، وإيجاز البيان يجعل المعنى الكثير في اللفظ القليل (1).

1- أ.د. وهبة الزحيلي، تفسير المنير، ط1، (بيروت: دار الفكر، 1411هـ)، (23/183-185)، وانظر: التبصرة بفقهاء النصر والتمكين، لعلي محمد الصلابي، ص، بتصرف يسير.

المطلب الثاني : أبرز صفات سليمان عليه السلام كحاكم دولة

إن سورة النمل تلك السورة العظيمة قد عرضت في بعض آياتها صفات سليمان عليه السلام كملك وحاكم ممكن له في الأرض ومن تلك الصفات :

1- العلم والحكمة، وذلك مثلما أعطي أبوه من قبل، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا وَقَالَا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنَا عَلَى كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ * وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُدَ وَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عُلِّمْنَا مَنْطِقَ الطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ﴾ [النمل: 15، 16].

ولهذا اعتبر سليمان مُلكه مفخرة عن ملك بلقيس ليس لامتداده وسعته وتفوقه فحسب، ولكن لأن ملك سليمان قام على العلم وأسس على الإيمان⁽¹⁾ فقال: ﴿وَأُوتِينَا الْعِلْمَ مِنْ

1- الصلابي ، علي محمد بن محمد ، تبصرة المؤمنین بفقہ النصر والتمکین ، (150/1).

قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ - وَصَدَّهَا مَا كَانَتْ تَعْبُدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنَّهَا كَانَتْ مِنْ قَوْمٍ كَافِرِينَ ﴿النمل: 42، 43﴾.

2- الحزم: ويظهر ذلك عند القيادة إن غلب الظن أن هناك تفصيلاً، أو تكاسلاً عن الحضور وقت الطلب أو التأخر وقت العمل: ﴿لَأَعَدِّيَنَّهُ عَدَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ﴾ [النمل: 21] ، فإنه قد تبين لسليمان عليه السلام أن الهدهد غائب، فتهدد بذلك أمام الجمع الذي يعلم أن الهدهد غائب، حتى لا يكون غيابه - إن لم يؤخذ بالحزم - سابقة سيئة لبقية الجند (1).

2- التريث والتأني قبل الحكم، فلعل للغائب عذراً، أو للمقصر حجة تدفع الإثم، وترفع العقوبة، ولهذا قال سليمان بعدها: ﴿أَوْ لِيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ﴾ [النمل: 21]، أي (بعذر واضح بين) (2)، وهذا هو اللائق بالحاكم والقاضي إذا كان عادلاً، وسليمان عليه السلام الذي اشتهر بالعدالة هو وجنوده حتى عند النمل، لا ينتظر منه مع الهدهد، أو ما دونه أو ما فوقه، إلا أن يكون عادلاً لا يعاجل بالعقوبة قبل ثبوت الجريمة ولا يبادر إلى المؤاخظة قبل سماع الحجة (3).

3- سعة الصدر في الاستماع إلى اعتذار المعتذر، وحجة المتخلف، وسليمان عليه السلام أنصت لاسترسال الهدهد حتى انتهى من قوله، رغم أن فيه نوع معاتبة لسليمان، وفيه نسبة عدم الإحاطة إليه: ﴿أَحْطْتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَبَأٍ يَقِينٍ - إِيَّيَّيَّ وَجَدْتُ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَهِيَ عَرْشٌ عَظِيمٌ - وَجَدْتُهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَانَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ - أَلَا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي

1- السيد قطب، في ظلال القرآن، (5 / 2638).

2- ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، (6 / 185).

3- الصلاحي، علي محمد بن محمد، التبصرة بفقهاء النصر والتمكين، (1 / 159).

يُخْرِجُ الْحَبَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ - اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ
الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴿ [النمل: 22-26].

كل هذا وسليمان لا يقاطعه، ولا يكذبه، ولا يعنفه، حتى ينتهي من سرد الحجة، التي كانت مفاجأة ضخمة لسليمان عليه السلام (1).

4- قبول الاعتذار ممن يعتذر في الظاهر، وإيكال سريره إلى الله تعالى، فسليمان عليه السلام سكت عن المؤاخذة وانتقل إلى تحري الخبر.

5- التروي في تصديق الخبر؛ فهذا الذي حكاه الهدهد، أمر ليس بالسهل ولا باليسير، ثم إن الهدهد لا يجرؤ على اختلاق هذه القصة الطويلة، وهو يعلم تمكن سليمان من الرعية، ومقدرته على التأكد من صحة الأخبار، ومع ذلك لم يبادر عليه السلام إلى التصديق، كما أنه لم يتعجل التكذيب، بل قال: ﴿سَنَنْظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾ أي: سنتأمل فيما اعتذرت به من العذر، واحتججت به من الحجة لغيبتك عنا، وفيما جئتنا به من الخير ﴿أَصَدَقْتَ﴾ في ذلك كله ﴿أَمْ كُنْتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾ فيه (2).

6- عدم الاغترار بقوة النفس وكثرة الجند وسعة السلطان، وإسناد الفضل إلى الله في كل نعمة، وتجديد الشكر على هذه النعم، وسليمان عليه السلام لما طلب الإتيان بعرش بلقيس أجابته جنوده التي سخرها الله له مسارعين إلى الطاعة؛ فلما وجد سليمان طلبه مجاباً، وأمره مطاعاً سارع إلى ضبط النفس في سلك الخشية ومنهاج التواضع والطاعة لله رب العالمين: ﴿فَلَمَّا رَأَهُ مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ﴾ [النمل: 40] أي رأى العرش ثابتاً عنده: ﴿قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي﴾ أي هذا النصر والتمكين من فضل ربي ليختبرني أشكر نعمته أم أكفرها، فإن من

1- الصلابي، التبصرة بفقہ النصر والتمكين، المرجع السابق، (1/ 159).

2- ابن جرير الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، (19/ 450).

شكر لا يرجع نفع شكره إلا على نفسه حيث استوجب بشكره تمام النعمة ودوامها والمزيد، ومن كفر النعم فإن الله غني عن شكره، كريم في عدم منع تفضله عنه (1).

7- التواضع كان سليمان عليه السلام دائم التواضع حتى قيل إنه كان يمشي منكسر الرأس خشوعاً لله، وأثناء استعراضه لجنوده من الجن والإنس والطير، مر على وادي النمل، وفي نظرة التواضع إلى الأرض؛ أبصر نملة، فأشخص النظر صوبها، وأصاخ السمع إليها، وبما علم من منطق الطير والحيوان حاول أن يتفهم أمرها، لقد علم أنها تتخوف من بطش أقدام الجنود في ركب سليمان، لقد سمعها وفهم قولها: ﴿قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ [النمل:18]. نعم إنها كائن صغير في مملكة ضخمة عظيمة، تسعى كأخواتها للرزق، وتنصح لهم أن يفسحوا الطريق أمام ركب الملك العادل، حتى لا تقع مظلمة غير مقصودة من أحد منهم (2).

1- عبد العزيز مصطفى كامل ، الحكم والتحاكم في خطاب الوحي، (2/600).

2- الصلابي ، التبصرة بفقہ النصر والتمكين ، المرجع السابق ، (1/161) .

المطلب الثالث : صفات الحاكم العادل من خلال قصة ذي القرنين .

إن قصة ذي القرنين تناولتها سورة الكهف تلك السورة القرآنية العظيمة ، في آيات إعجازية قليلة من الآية (83) وحتى الآية (98) ، وهي قصة تاريخية نادرة ، مليئة بالدروس والعبر ، والحكم والأخلاق ومن أهم تلك الأخلاق ما يأتي :

1- الصبر: كان جلدًا صابراً على مشاق الرحلات؛ فمثلاً تلك الحملات التي كان يقوم بها تحتاج إلى جهود جبارة في التنظيم والنقل والتحرك والتأمين .

فالأعمال التي كان يعملها تحتاج إلى جيوش ضخمة، وإلى عقلية يقظة، وذكاء وقاد، وصبر عظيم وآلات ضخمة وأسباب معينة على الفتح والنصر والتملك .

2- كانت له مهابة ونجابة: يستشعرها من يراه لأول مرة، فلا يخطئ ظنه عندما يوقن أنه ليس بملك جبار ولا ظالم، فعندما بلغ بين السدين ووجد القوم المستضعفين، استأنسوا به، ووجدوا فيه مخلصاً من الظلم والقهر الواقع عليهم فبادروه بسؤال المعونة؛ فمن الذي أدراهم بأنه لن يكون مفسداً مثلهم، ومعه من القوة والعدة ما ليس مثلهم .

3- الشجاعة: كان قوي القلب جسورًا غير هَيَّاب من التبعات الضخمة والمسئوليات العظيمة إذا كان في ذلك مرضاة الله سبحانه، فإن ما طلب من إقامة السد، كان عملاً

عظيمًا في ذاته، حيث إن القوم المفسدين كانوا من الممكن أن يوجهوا إفسادهم إليه وإلى جنوده، ولكنه أقدم وأقبل غير متأخر ولا مدبر.

4- التوازن في شخصيته: فلم تعكر شجاعته على حكمته، ولم ينقص حزمه من رحمته، ولا حسمه من رفقته وعدالته، ولم تكن الدنيا كلها -وقد سُخرت له- كافية لإثناؤه عن تواضعه وطهارته وعفته.

5- كثير الشكر: لأنه كان صاحب قلب حي موصول بالله تعالى، فلم تُسكره نشوة النصر، وحلاوة الغلبة بعدما أذل كبرياء المفسدين، بل نسب الفضل إلى ربه سبحانه ، وقال: { هَذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّي } [الكهف:98].

6- كان عفيفًا مترفعًا عن مال لا يحتاجه، ومتاع لا ينفعه: فإن القوم المستضعفين لما شكوا إليه فساد المفسدين، عرضوا عليه الخراج؛ فأجابهم بعفة وديانة وصلاح: إن الذي أعطاني الله من الملك والتمكين خير لي من الذي تجمعونه وما أنا فيه خير من الذي تبذلونه (1).

1- عبد العزيز مصطفى كامل ، الحكم والتحاكم في خطاب الوحي، (2 / 624 ، 625).

المطلب الرابع : صفات الحاكم العادل من خلال قصة طالوت عليه السلام مع بني إسرائيل .

إن قصة طالوت عليه السلام قد تناولتها سورة البقرة في بعض آياتها وهي من الآية : (245) وحتى الآية : (252) ، وهي قصة عظيمة القدر ، فيها أهم السنن الاجتماعية في حياة الأمم ، والمجتمعات ، والشعوب ، التي يمكن استخلاصها من خلال هذه القصة ، ولكننا لن نستعرض منها إلا ما يرتبط بصفات الحاكم العادل يقول تعالى في محكم كتابه : ﴿ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا قَالُوا أُنَّى يُكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِنَ الْمَالِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللَّهُ يُؤْتِي مَلَكُهُ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ [البقرة : 247].

وتفسير ذلك : أي: لما طلبوا من نبيهم أن يعين لهم ملكاً منهم فعين لهم طالوت وكان رجلاً من أجنادهم ولم يكن من بيت الملك فيهم؛ لأن الملك فيهم كان في سبط يهوذا، ولم يكن هذا من ذلك السبط فلماذا قالوا: ﴿ أُنَّى يُكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا أَي: كيف يكون ملكاً علينا ﴾ وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِنَ الْمَالِ ﴾ أي: ثم هو مع هذا فقير لا مال له يقوم بالملك، وقد ذكر بعضهم أنه كان سقاء وقيل: دباعاً. وهذا اعتراض منهم على نبيهم وتعنت وكان الأولى بهم طاعة وقول معروف ثم قد أجابهم النبي قائلاً ﴿ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ ﴾ أي: اختاره لكم من بينكم والله أعلم به منكم. يقول: لست أنا الذي عينته من تلقاء نفسي بل الله أمرني به لما طلبتم مني ذلك ﴿ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ ﴾ أي: وهو

مع هذا أعلم منكم، وأنبل وأشكل منكم وأشد قوة وصبراً في الحرب ومعرفة بها أي: أتم علماً وقامة منكم. ومن هاهنا ينبغي أن يكون الملك ذا علم وشكل حسن وقوة شديدة في بدنه ونفسه ثم قال: ﴿ وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَنْ يَشَاءُ ﴾ أي: هو الحاكم الذي ما شاء فعل ولا يسأل عما يفعل وهم يسألون لعلمه [وحكمته] ورأفته بخلقه؛ ولهذا قال: ﴿ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ أي: هو واسع الفضل يختص برحمته من يشاء عليم بمن يستحق الملك ممن لا يستحقه (1). ويقول الشيخ محمد رشيد رضا (2) - رحمه الله - في تفسيره لهذه الآية ﴿ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ .

إن الشروط التي ينبغي اعتبارها في الاختيار للملك هي :

- 1- الاستعداد الفطري للشخص ﴿ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ ﴾ .
- 2- السعة في العلم الذي يكون به التدبير ﴿ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ ﴾ .
- 3- بسطة الجسم المعبر بها عن صحته، وكمال قواه المستلزم ذلك صحة الفكر ﴿ الْجِسْمِ ﴾ .
- 4- توفيق الله تعالى لا سبب له، وهو المعبر عنه بقوله: ﴿ وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَنْ يَشَاءُ ﴾ (3).

1- ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، (1 / 666) .

2- هو محمد رشيد رضا القلموني البغدادي الأصل، الحسيني النسب، صاحب مجلة المنار، وداعية التجديد والإصلاح وله تفسير اسمه: تفسير القرآن الحكيم، ومشهور باسم تفسير المنار، وهو غير كامل انتهى مؤلفه إلى الآية (101) من سورة يوسف توفي سنة 1353هـ. انظر : الإعلام للزركلي (6 / 126) .

3- محمد رشيد رضا ، تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار) ، (الناشر : الهيئة المصرية العامة للكتاب ، 1990م) ، (2 / 379) .

الفصل الثالث

ثمار العدل وآثاره في الدنيا والآخرة

وفيه مبحثان :

المبحث الأول : ثمار العدل وآثاره في الدنيا .

المبحث الثاني : ثمار العدل وآثاره في الآخرة .

المبحث الأول : ثمار العدل وآثاره في الدنيا

1- إشاعة الطمأنينة في النفوس، فمتى ساد العدل عم الأمن كل شيء، فيأمن المسلم على دينه وعرضه وأهله وماله، وبهذا يؤدي الناس شعائرهم الدينية في أمان كما يتفرغوا لأعمالهم الدنيوية بجد ونشاط فينمو المجتمع ويتقدم.

2- من ثمار العدل أيضاً قيام الناس بتأدية واجباتهم وأعمالهم المنوطة بهم بمسئولية وأمانة بعيدين عن الغش والخداع والرشوة .

3- كما أن من ثمرات العدل الطاعة، طاعة الرعية للحاكم فمتى ما حقق الحاكم العدل بين رعيته نال طاعتهم ومحبتهم، فيسمعون له، وينفذون أحكامه، ولا يخرجون عنه، ولا يبغون عليه، فلا توجد منازعات ولا مشاجرات، ولا فوضى ولا اضطرابات بل يعيش الجميع في أحسن حال، وأهدأ بال، وبهذا يعم السلام والوثام.

4- بالعدل يعم الخير في البلاد:

فالعدل سبب في حصول الخير والبركة وانعدام الفقر والجوع إذا كان منتشرًا بين الولاة، وبين أفراد المجتمع .

ومما يؤكد هذا المعنى ما روي عن وهب بن منبه قال: "إذا هم الولي بالعدل أدخل الله البركات في أهل مملكته حتى في الأسواق والأرزاق وإذا هم بالجور أدخل الله النقص في مملكته حتى في الأسواق والأرزاق" (1).

فقيام العدل في الأرض كالمطر الوابل، بل هو خير من خصب الزمان كما قيل، فمن كلامهم: "سلطان عادل خير من مطر وابل، وقالوا عدل السلطان خير من خصب الزمان، وفي بعض الحكم: ما أمحلت أرض سال عدل السلطان فيها ولا محيت بقعة فاء ظله عليه" (2).

3- ظهور رجحان العقل به:

قيل لبعضهم: من أرجح الملوك عقلاً، وأكملهم أدباً وفضلاً؟ قال: من صحب أيامه بالعدل، وتحزّز جهده من الجور، ولقي الناس بالمجاملة، وعاملهم بالمسألة، ولم يفارق السياسة، مع لين في الحكم، وصلابة في الحقّ، فلا يأمن الجريء بطشه، ولا يخاف البريء سطوته (3).

4- العدل أساس الدول والملك وبه دوامهما:

فبالعدل يدوم الملك، ويستقر الحاكم في حكمه، و"في بعض الحكم: أحقُّ الناس بدوام الملك

1- ابن الأزرق محمد بن علي، بدائع السلك في طبائع الملك، تحقيق: علي سامي النشار، ط1، الناشر: وزارة الإعلام العراق، (227 /1).

2- ابن الأزرق، بدائع السلك، المرجع السابق، (232/1).

3- ابن الأزرق، بدائع السلك، المرجع السابق، (231/1).

وباتصال الولاية، أفسطهم بالعدل في الرعية، وأخفهم عنها كلاً ومؤونة، ومن أمثالهم: من جعل العدل عُدَّة طالت به المدة" (1).

5- أيضاً من ثمرات العدل بين الرعية تحقق الاستجابة، فمتى دعا الحاكم ربه أجاب دعوته، وحقق مراده ونال مطلوبه قال عليه السلام: "ثَلَاثَةٌ لَا تُرَدُّ دَعْوَتُهُمُ الصَّائِمُ حَتَّى يُفِطَرَ وَالْإِمَامُ الْعَادِلُ وَدَعْوَةُ الْمَظْلُومِ يَرْفَعُهَا اللَّهُ فَوْقَ الْعَمَامِ وَيَفْتَحُ لَهَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ وَيَقُولُ الرَّبُّ وَعَزَّيْتُ لَأَنْصُرَنَّكَ وَلَوْ بَعْدَ حِينٍ" ، حديث حسن . (2)

1- ابن الأزرق ، بدائع السلك ، المرجع السابق ، (231/1).

2- الترمذي محمد بن عيسى بن سورة ، سنن الترمذي ، أبواب الدعوات ، تحقيق : إبراهيم عطوة عوض المدرس بالأزهر الشريف ، ط 2 ، (مصر: مكتبة مطبعة مصطفى الباي ، 1495هـ) ، (5/578) ، رقم الحديث (3598).

المبحث الثاني : ثمار العدل وآثاره في الآخرة

1- نيل محبة الله ورضاه والقرب منه، والفوز برحمته في الآخرة قال ﷺ: "إِنَّ أَحَبَّ النَّاسِ إِلَى اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَأَدْنَاهُمْ مِنْهُ مَجْلِسًا إِمَامٌ عَادِلٌ وَأَبْعَضَ النَّاسِ إِلَى اللَّهِ وَأَبْعَدَهُمْ مِنْهُ مَجْلِسًا إِمَامٌ جَائِرٌ". (1)

2- كما أن من ثمرات العدل كسب الأجر والثواب من رب العباد فقد روي عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: "كُلُّ سُلَامَى مِنْ النَّاسِ عَلَيْهِ صَدَقَةٌ كُلَّ يَوْمٍ تَطْلُعُ فِيهِ الشَّمْسُ يَعْدِلُ بَيْنَ الْإِثْنَيْنِ صَدَقَةٌ" (2) أي أن له ثواب الصدقة.

1- الترمذي ، محمد بن عيسى ، سنن الترمذي ، تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي ، كتاب الأحكام ، باب ما جاء في الإمام العادل ، المرجع السابق (309/3) ، (1329) .

2- البخاري ، أبو محمد محمود بن أحمد ، عمدة القارئ شرح صحيح البخاري ، كتاب الصلح ، باب فضل الإصلاح بين الناس والعدل بينهم ، (بيروت : دار إحياء التراث العربي ، (13 / 286) ، (7072) .

3- وأيضا من ثمرات العدل النجاة في الدنيا والآخرة فقد روي عن ابن عمر رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: " ثلاث منجيات خوف الله في السر والعلن، والقصد في الفقر والغنى، والعدل في الرضا والغضب". (1)

4- ومن ثمرات العدل بين الرعية التمتع بظل وارف ظليل يوم يشتد الحر بالعباد، وتدنو الشمس من رؤوسهم فلا يسأل حميم حميماً بل يفر المرء من أمه وأبيه وصاحبته وبنيه لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه، فلا ولد يشفع، ولا مال أو جاه ينفع إلا من أتى الله بقلب سليم فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: "سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ إِمَامٌ عَادِلٌ.... الحديث". (2)

5- علو المنزلة عند الله تعالى

عن عبد الله بن عمرو بن العاص -رضي الله تعالى عنهما - قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " إِنَّ الْمُقْسِطِينَ عِنْدَ اللَّهِ عَلَى مَنَابِرٍ مِنْ نُورٍ، عَن يَمِينِ الرَّحْمَنِ عَزَّ وَجَلَّ، وَكَلَّتَا يَدَيْهِ يَمِينٌ، الَّذِينَ يَعْدِلُونَ فِي حُكْمِهِمْ وَأَهْلِيهِمْ وَمَا وُلُّوا "(3) .

1- العجلوني، اسماعيل بن محمد، كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس، (القاهرة: مكتبة القدسي)، (323/1)، (1035)؛ حيث قال رواه الطبراني في الأوسط عن ابن عمر.

2- النسائي، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب، السنن الكبرى، كتاب القضاة، باب الإصابة بالحكم بعد الاجتهاد لمن له أن يجتهد، حققه وخرج أحاديثه: حسن عبد المنعم شلبي، ط1، (بيروت: مؤسسة الرسالة، 1421هـ)، (397/5)، (5890).

3- النيسابوري، أبو الحسين مسلم بن الحجاج، المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى الرسول صلى الله عليه وسلم، (1858/3) رقم (1827).

6- ومن ثمار العدل أنه يوصل للتقوى

إن التقوى التي هي مطلب كل مسلم ومرغوب كل مؤمن والتي أعد الله لأهلها جنة عرضها السماوات والأرض أخبرنا القرآن الكريم أن الطريق المؤدي للتقوى والموصل لها هو : العدل قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَا نُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ [المائدة: 8].

7- تحقيق محبة الله للبعد لقوله تعالى : ﴿ وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَىٰ فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ فَإِنَّ فَاءَ ت فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴾ [الحجرات: 9] ، والقسط من معاني العدل.

هذه هي بعض ثمرات العدل جعلنا الله من الذين يعدلون في حكمهم وأهليهم وما ولوا، وجنبنا الظلم وأهله حتى لا نقع في عاقبته الوحيمة ونهايته السيئة الأليمة، فالمسلم الحق هو العادل في جميع أقواله وأفعاله وحركاته وسكناته تاركاً للظلم في جميع أحواله؛ لأن الظلم ظلمات يتخبط فيها الظالمون يوم القيامة، كما بين ذلك الصادق المصدوق الذي لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى فقد روي عن عبد الله بن عمر أنه قال قال ﷺ: " الظُّلْمُ ظُلُمَاتٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ". (1)

1- البخاري ، أبو محمد محمود بن أحمد ، عمدة القارئ شرح صحيح البخاري ، كتاب المظالم والغصب ، باب الظلم

ظلمات يوم القيامة ، (12/ 292) ، (7442) .

الخاتمة :

أهم النتائج والتوصيات التي توصل إليها الباحث .

1- القسط لا يأتي إلا بمعنى واحد وهو الإنصاف والعدل بينما العدل يأتي لمعان عدة : منها الإنصاف ، والفدية ، والقيمة ، والتوحيد ، والشرك فكل قسط عدل وليس كل عدل قسط .

2- الحكم لا يأتي بمعنى الملك والقضاء والفصل فحسب بل يأتي لمعان عدة منها : الحكمة ، والفقہ ، والموعظة ، والفهم ، والعلم ، والنبوة ، وحسن التأويل .

3- إقامة القسط بين الناس هو تحقيق لشرع الله ودينه، فهو هدف الرسالات السماوية كلها .

4- القرآن الكريم يختص بالكمال والشمولية ، فهو ما جاء لينظم علاقة المسلم بربه فحسب ، بل نظم أيضا علاقة المسلم بالمسلم ، وعلاقة المسلم بغير المسلم .

5- الدولة المسلمة العادلة لا تقوم إلا على أساس من الإنصاف والعدل في الأقوال والأفعال والمعاملات والقضاء .

6- العدل المطلق هو عدل الله تعالى وحده وهو أساس الحساب في الآخرة يجازي المحسن بإحسانه ، والمسيئ من أهل الإيمان إما أن يعاقبه أو يعفو عنه، والكافر يخلد في النار .

7- العدل هو أساس نظام الحكم الإسلامي وغايته المقصودة، سواء بين المسلمين ، أم بينهم وبين الأعداء.

8- إن ترك العدل يعد ظلماً ، والله سبحانه وتعالى حرم الظلم وذم أهله وتوعدهم بالعذاب الشديد يوم القيامة والهلاك في الدنيا.

9- إن من متطلبات العدل التسوية في المعاملة وفي القضاء وفي الحقوق وملكيات الأموال.

10- الناس جميعاً في نظر الإسلام سواسية ، الحاكم والمحكوم ، الرجال والنساء ، العرب والعجم ، الأبيض والأسود.

12- الشورى في الأمة مبدأ أصيل، وصفة لازمة، بدونها تفقد الأمة صلاحها كما لو تركت الصلاة أو الصيام وهي الطريق السليم التي يتوصل بها إلى إجراء الآراء والحلول، لتحقيق مصالح الأفراد، والجماعات، والدول.

13- إذا أردنا أن نحقق العدل في الأرض ينبغي علينا أن نجرد أنفسنا لله تعالى، ونتخلى عن رغباتنا المشروعة ، ويكون الهدف الأسمى هو ابتغاء مرضات الله تعالى متجردين من كل ميل، ومن كل هوى، ومن كل مصلحة، ومن كل اعتبار .

14- إن عدة الحاكم المسلم الذي يريد تحقيق مبدأ العدل بين الناس هي: التميز الإيماني، والرصيد العلمي ، والزاد الثقافي ، وقوة الملك والحجة ، ورجاحة العقل ، وحسن الفصل،

وسماحة النفس ، وسعة الصدر ، والتواضع وعدم الغرور ، والشجاعة والحزم مع التوازن في الشخصية ، والتعفف ، والأمانة .

15- إن على الأمة أن لا تختار من يمثلها إلا من كانت فيه صفات القائد الصالح الناجح.

16- إن من يحكم بين الناس مع اتصافه بصفات الحاكم العادل يحصد ثمار ذلك فيحقق لهم الأمن والرخاء ويشيع بينهم السعادة والطمأنينة ، وينال طاعتهم ومحبتهم، ويسمعون له، وينفذون أحكامه، فيعيش الجميع في أحسن حال، وأهدأ بال، وبهذا يعم السلام والوثام.

17- العدل سبب في حصول الخير والبركة وانعدام الفقر والجوع إذا كان منتشرًا بين الولاة، وبين أفراد المجتمع .

18- أنّ العدل دعامة من دعائم بقاء الدول وانتصارها.

19- العدل سبب لإجابة الدعاء فمتى دعا الحاكم ربه أجاب دعوته، وحقق مراده ونال مطلوبه .

20- بالعدل تنال محبة الله ورضاه والقرب منه، والفوز برحمته في الدنيا والآخرة .

21- العدل . المقسطون . تعلق منزلتهم عند الله تعالى فهم أهل لمحبة سبحانه .

والحمد لله رب العالمين

والصلاة والسلام على سيد ولد عدنان نبينا محمد بن عبد الله

وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين

فهرس المصادر والمراجع :

- 1- القرآن الكريم .
- 2- عبد الصبور مرزوق ، معجم الأعلام والموضوعات ، (القاهرة : دار الشروق ، 1995).
- 3- النيسابوري ، أبو الحسين مسلم بن الحجاج ، المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى الرسول صلى الله عليه وسلم ، تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي ، (دار إحياء التراث العربي) .
- 4- ابن منظور المصري ، محمد بن مكرم ، لسان العرب ، ط1 ، (دار صادر - بيروت) .
- 5- ابن حزم الأندلسي ، علي بن أحمد ، الأخلاق والسير ، تحقيق : عادل أبو المعاطي ، ط1 ، (القاهرة : دار المشرق العربي ، 1408هـ - 1988م) .

- 6- العريني ، د. عبد الله بن إبراهيم ، تقرير الإسلام للعدل بين الأفراد والدول ، مجلة العدل ، العدد الأول .
- 7- أبو الفرج الجوزي ، عبد الرحمن بن علي بن محمد ، نزهة الأعين النواضر في علم الوجوه والنظائر، تحقيق : محمد عبد الكريم كاظم ، ط1 ، (مؤسسة الرسالة - لبنان / بيروت ، 1404هـ - 1984م) .
- 8- الرازي ، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر ، مختار الصحاح ، تحقيق : محمود خاطر ، طبعة جديدة ، (مكتبة لبنان - بيروت ، 1415هـ - 1995م) .
- 9- أبو هلال العسكري ، الحسن بن عبد الله بن سهل ، الفروق اللغوية ، تحقيق : محمد إبراهيم سليم ، (القاهرة : دار العلم والثقافة والنشر) .
- 10- الفيروز أبادي ، مجد الدين محمد بن يعقوب ، بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، تحقيق : محمد علي النجار ، (القاهرة: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية - لجنة إحياء التراث الإسلامي، 1416هـ - 1996م) .
- 11- الراغب الأصفهاني ، الحسين بن محمد بن المفضل ، المفردات في غريب القرآن ، تحقيق : عدنان صفوان الداودي ، ط1، (دمشق ، بيروت : دار القلم ، الدار الشامية) .
- 12- د. عبد العزيز مصطفى كامل ، الحكم والتحاكم في خطاب الوحي ، ط1، (دار طيبة ، 1415هـ - 1995م) .
- 13- السيد قطب ، إبراهيم بن حسين الشاربي ، في ظلال القرآن ، ط17، (القاهرة : دار الشروق ، 1412هـ) .

- 14- النويري ، أحمد بن عبد الوهاب ، نهاية الأرب في فنون الأدب ، تحقيق: فهم شلتوت ، ط1، (القاهرة : دار الكتب المصرية 1998م) .
- 15- ابن القيم الجوزية ، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب الزرعي ، الطرق الحكمية في السياسة الشرعية ، تحقيق : د. محمد جميل غازي (القاهرة : مطبعة المدني) .
- 16- الطبري ، أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن كثير ، جامع البيان في تأويل القرآن ، تحقيق: أحمد محمد شاكر ، ط1، (مؤسسة الرسالة ، 1420هـ - 2000م) .
- 17- ابن كثير الدمشقي ، أبو الفداء اسماعيل بن عمر ، تفسير القرآن العظيم ، تحقيق: سامي بن محمد سلامة ، ط2، (دار طيبة للنشر والتوزيع ، 1420هـ - 1999م) .
- 18- د. عبد الكريم عثمان ، الثقافة الإسلامية ، ط16، (مؤسسة الرسالة ، 1413هـ) .
- 19- ابن العماد الحنبلي ، عبد الحي أحمد بن محمد ، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تحقيق : محمود الأرناؤوط ، ط1 ، (دمشق - بيروت : دار ابن كثير) .
- 20- السيوطي ، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد ، الدرر المنثور في التفسير بالمأثور ، (بيروت : دار الفكر) .
- 21- السعدي ، عبد الرحمن بن ناصر ، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق ، ط1، (مؤسسة الرسالة ، 1420هـ - 2000م) .
- 22- الجوزي ، عبد الرحمن بن علي ، تفسير زاد المسير في علم التفسير ، ط3 ، (بيروت : المكتب الإسلامي ، 1404هـ) .
- 23- الذهبي ، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان ، سير أعلام النبلاء ، تحقيق : مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط ، ط3، (الرسالة ، 1405هـ) .

- 24- فخر الدين الرازي ، محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين ، مفاتيح الغيب ، ط1، (بيروت : دار الكتب العلمية ، 1421هـ - 2000م) .
- 25- الألويسي ، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني ، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ، ط1، (بيروت : دار الكتب العلمية ، 1415هـ) .
- 26- الشوكاني ، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله اليمني ، فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير ، ط1، (دمشق ، بيروت - دار ابن كثير ، دار الكلم الطيب ، 1414هـ) .
- 27- الديقاج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب (بيروت : دار الكتب العلمية) .
- 28- شمس الدين القرطبي ، محمد بن أحمد بن أبي بكر ، الجامع لأحكام القرآن ، تحقيق : هشام سمير البخاري ، (المملكة العربية السعودية : دار عالم الكتب بالرياض
- 29- أ.د. وهبة الزحيلي ، الفقه الإسلامي وأدلته الشامل للأدلة الشرعية والآراء المذهبية وأهم التطريبات الفقهية وتحقيق الأحاديث النبوية وتخريجها، ط4، (دمشق : دار الفكر) .
- 30- أبو فارس، محمد عبد القادر ، النظام السياسي في الإسلام ، ط2، (الأردن: دار الفرقان ، 1407هـ) .
- 31- الصلابي، علي محمد بن محمد ، تبصرة المؤمنين بفقه النصر والتمكين في القرآن الكريم ، ط1، (الشارقة : مكتبة الصحابة ، 1422هـ) .
- 32- حسين بن محسن علي جابر ، الطريق إلى جماعة المسلمين ، (دار الوفاء للطباعة والنشر) .

33- عز الدين التميمي ، الشورى بين الأصالة والمعاصرة ، ط1 ، (الأردن : دار البشير ، 1405هـ) .

34- الهدبان ، محمد بن عبد الله ، ملتقى الخطباء ، عنوان الخطبة : إقامة العدل في الأرض سمة من سمات الله .

35- محمد رشيد رضا ، تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار) ، (الناشر : الهيئة المصرية العامة للكتاب ، 1990م) .

36- ابن الأزرق ، محمد بن علي ، بدائع السلك في طبائع الملك ، تحقيق : علي سامي النشار ، ط1 ، الناشر : وزارة الإعلام العراق .

37- الترمذي ، محمد بن عيسى بن سورة ، سنن الترمذي ، أبواب الدعوات ، تحقيق : إبراهيم عطوة عوض المدرس بالأزهر الشريف ، ط2 ، (مصر: مكتبة مصطفى البابي، 1495هـ).

38- البخاري ، أبو محمد محمود بن أحمد ، عمدة القارئ شرح صحيح البخاري ، كتاب الصلح ، باب فضل الإصلاح بين الناس والعدل بينهم ، (بيروت : دار إحياء التراث العربي) .

39- العجلوني ، اسماعيل بن محمد ، كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس ، (القاهرة : مكتبة القدسي) .

40- النسائي ، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب ، السنن الكبرى ، كتاب القضاة ، باب بالإصابة بالحكم بعد الاجتهاد لمن له أن يجتهد ، حققه وخرج أحاديثه : حسن عبد المنعم شلبي ، ط1 ، (بيروت : مؤسسة الرسالة ، 1421هـ) .

فهرس الموضوعات :

3	شكر وتقدير.....	
5	المقدمة.....	
11	التمهيد.....	
17	الفصل الأول : الحكم في الإسلام وأهميته.....	
18	المبحث الأول : أهمية العدل في الحكم ومنزلته.....	
21	المبحث الثاني : القرآن الكريم وإقرار مبدأ الحكم بالعدل.....	
24	المطلب الأول : العدل في الإصلاح بين المتخاصمين.....	
	المطلب الثاني : العدل في التعامل مع غير المسلمين.....	26
	المطلب الثالث : العدل في القول.....	28
31	المبحث الثالث : أساس الحساب في الآخرة قضاء الله تعالى بالعدل.....	

34	الفصل الثاني : قواعد الحكم بالعدل وموانعه وصفات الحاكم العادل.....
35	المبحث الأول : قواعد الحكم
35	المطلب الأول : العدل والمساواة أساس الحكم وغايته
83	المطلب الثاني : الشورى وأثرها في تطبيق الحكم العادل
43	المبحث الثاني : موانع العدل
47	المبحث الثالث : صفات الحاكم العادل
47	المطلب الأول: صفات الحاكم العادل من خلال قصة داوود عليه السلام....
50	المطلب الثاني : أبرز صفات سليمان عليه السلام كحاكم دولة
54	المطلب الثالث : صفات الحاكم العادل من خلال قصة ذي القرنين
56	المطلب الرابع: صفات الحاكم العادل من خلال قصة طالوت مع بني إسرائيل
58	الفصل الثالث : العدل في الحكم نتائجه وآثاره العاجلة والآجلة
59	المبحث الأول : ثمار العدل وآثاره في الدنيا
62	المبحث الثاني : ثمار العدل وآثاره في الآخرة
65	النتائج والتوصيات.
68	فهرس المصادر والمراجع.
73	فهرس الموضوعات.